الفصل السابع

مسار سباق الكلاب وأرض المستنقعات

«كنا نظن أن هذا الأمر قابل للتوسع»

- أحد مؤسسي شركة تربل كانوبي

يقع مضمار سباق الكلاب على مشارف مدينة ويست ممفيس في ولاية آركانسا، وسط مجموعة من الفنادق الرخيصة والمطاعم الصغيرة التي تعمل على مدار الساعة. أتيت إلى هذا المكان في رحلة بالقطار من المقر الرئيس لشركة تربل كانوبي (المظلة الثلاثية) في مدينة شيكاغو مروراً بمدينة نيو أوليانز؛ لكي أمكث عدة أيام أراقب فيها التدريبات التي تجريها الشركة، وعملية اختيار وانتقاء المتقدمين بطلبات عمل فيها. ستون شخصاً يسعون إلى الفوز بوظيفة للعمل في أحد العقود الأمنية لشركة تربل كانوبي سيمضون نهارهم في إظهار قدراتهم ومهاراتهم في قيادة السيارات على مسار السباق، ومهاراتهم في إطلاق الرصاص في ميدان خاص للرماية. وتقدّم الأحياء الفقيرة التي تحيط بمركز التدريب مثالاً ساطعاً على التباين الكبير بين حياة البذخ والغنى الفاحش التي يعيشها أصحاب الشركات الأمنية الخاصة وبين حياة الفقر والبؤس التي يعيشها الأفراد الذين ينفذون عقود تلك الشركات ويجعلون منها شركات مربحة.

وشركة تربل كانوبي (المظلة الثلاثية) هي واحدة من أحدث الشركات الأمنية الخاصة وأكثرها مغامرة وإقداماً في مشهد الشركات الأمنية الخاصة، ويدل اسمها على الطبقات المتعددة للحماية التي توفرها الشركة في سبيل تحقيق أمن وسلامة عملائها. تأسست الشركة في أيلول/ سبتمبر من عام 2003، على يد مجموعة من الأصدقاء والمستثمرين. وتتكون المجموعة الرئيسة من المؤسسين من جنودٍ سابقين في القوات الخاصة هما ماثيو مان وتوم كارنيس، إضافة إلى المستثمر الممول جون بيترز الذي يعمل في مجال

الاستثمارات المصرفية. أما رابع أعضاء مجلس الإدارة فهو إيغي بليدرز، وهو ضابط سابق برتبة رقيب أول في قوات الدلتا. وفي العام الأول من نشاط الشركة، نمت من نواتها الأولى إلى مشروع يضم ثمان مئة موظف، وتمكنت من تحقيق دخل تجاوز المئة مليون دولار أمريكي.

تنزع شركة تربل كانوبي إلى الترويج لثقافة مؤسسية خاصة بها، تقوم على اعتبار أن هذه الثقافة مستمدة من تراث قوات الدلتا، وذلك مقارنة بثقافة شركة بلاك ووتر المستمدة من تراث قوات سيل، وتراث شركة هارت المستقاة من تراث قوات ساس (القوات الملكية الجوية الخاصة في بريطانية). ويعكس الترويج لانطباع ذهني عن الشركة مرتبط بالدلتا منهجاً يقوم على السرّية واستخدام التوجه الإداري في عملها تمييزاً لها عن المظهر العدواني الصاخب المقتحم لشركة بلاك ووتر، والتوجه الكتوم المستتر الذي تنتهجه شركة هارت.

وكحال كثير من الشركات الناشئة في صناعة الأمن الخاص المتنامية، بدأ مان، وكانيس، وبيترز، بداية متواضعة، وعانوا الصعوبات في إقامة هيكل الشركة وفي توظيف وتدريب العاملين بعد فوزهم بأول عقد أمني. ويستذكر ماثيو مان كيف عملوا بكفاح وكد في سبيل الحصول على عقدهم الأول، وما تحملوا من مخاطر مالية كبيرة في سعيهم وراء هذه الفرصة. وحين طرح عطاء تقديم الحماية للحكومة في العراق، قال مان: «الحيلة الوحيدة هي أن ندخل في العطاء، وكان علينا أن نذهب إلى هناك ونعاين المواقع». ومن بين الشركات الأربع التي طلب إليها التقدم بعروض للفوز بعقد توفير مظلة أمنية شاملة لستة أشهر مقابل 300 مليون دولار، تخلفت شركتا إم في إم وآرمغروب عن الحضور، وبذلك بقيت المنافسة بين شركة بلاك ووتر وشركة تربل كانوبي. استقل ماثيو مان يرافقه هال بوف، وهذا الأخير هو جندي سابق في قوات سيل، «سيارة بي أم دبليو، وطفنا بها العراق، ووضع كل واحد منا خرقة[1] على رأسه». غير أن بلاك ووتر لم تعاين سوى نصف المواقع المطلوب تقديم الحماية لها، ففتحت بذلك المجال أمام تربل كانوبي الناشئة للفوز بالبقية.

1- كلمة خرقة الرأس كناية عن الكوفية التي يضعها العرب على رؤوسهم، ويجدر التنويه إلى أن استخدام هذه العبارة لا يجيء إلا في معرض التحقير والإهانة العنصرية الموجهة إلى العرب. أنظر تعليق قاموس أكسفورد على كلمة rag-head.

يقول ماثيو مان: «لقد فزنا بسبعة عشر عقداً من أصل ثلاثة وثلاثين، وكانت قيمة عقودنا ثمانين مليون دولار لمدة ستة أشهر. وكان التجديد بحدود الأربعين أو الستين مليون دولار. وانتهى بنا المطاف إلى تأمين اعتماد من مصرف ويلز فارغو بقيمة خمسين مليون دولار، أنفقنا منها تسعة ملايين دولار على المصاريف الرأسمالية. وكان علينا من أجل الدخول في هذا القطاع، وقبل أن نجني دولاراً واحداً، أن ننفق مليوني دولار. وقد سبق أن صرفنا مليوني دولار قبل أن نفوز بالعقد. وكنا ندفع فائدة بنسبة 8% على تلك القروض، وهي عقوبة كوننا شركة جديدة. وكان العقد الأمني مؤسساً على سعر محدد، ما يعني أن الحكومة لا تضمن لنا تحقيق أي ربح».

غير أن استثمارهم آتى أُكُلَه، ذلك أن شركة تربل كانوبي اليوم هي واحدة من الشركات الأمريكية الكبرى المزودة للخدمات الأمنية الخاصة. ويشار إليها عادة بوصفها واحدة من «الشركات الثلاث الكبرى» إلى جانب بلاك ووتر، ودينكورب. وفي عام 2006، فازت الشركات الثلاث الكبرى بعقد مشترك بينها بقيمة مليار دولار لحماية السفارات الأمريكية حول العالم.

وحتى كتابة هذه السطور، قفزت تربل كانوبي قفزة كبيرة من مكتبها الأصلي في مدينة شيكاغو إلى جناح خاص على مقربة من مركز السلطة وصنع القرار في الحكومة الأمريكية في مدينة هيرندون بولاية فيرجينيا قرب العاصمة واشنطن. كما أنها أحدثت تحسيناتٍ جذريةً على منشآت التدريب التابعة لها تختلف عن المنشآت التي كانوا يستخدمونها حين زرتهم عام 2004. وبعد أن أمضيت عدة أسابيع في مركز التدريب التابع للشركة في مدينة ويست ممفيس في ولاية آركانسا، تعرفت في أثناءها على الدم واللحم الذي بنيت عليه إمبراطورية تربل كانوبي.

في بداية العمليات العسكرية الأمريكية في أفغانستان والعراق، كان يجري انتقاء المتعاقدين الأمنيين من العناصر الأكثر خبرة من المتقدمين للعمل. غير أن الأعداد المتوافرة من المؤهلين للقيام بهذا العمل بدأت تشهد تضاؤلاً إلى أدنى مستوياتها بفعل الطلب المتزايد على هذه الخبرات نتيجة المشكلات الأمنية في العراق. هذا إلى جانب توسع

نطاق عمل الشركات الأمنية الذي أصبح يشمل مختلف مناطق العالم. وتتلقى شركة تربل كانوبي ما مجموعه ألفٌ ومئتا طلب للعمل في الشهر الواحد. ومن هذا العدد لا تكاد تجد سوى مئة وخمسين يحملون مؤهلات حقيقية تمكنهم من أداء المهمات المطلوبة منهم. ومن بين هذه الطلبات، هناك 15 إلى 20% تأتي مباشرة من الجيش. وتأتي البقية من عاملين في شركات خاصة ممن لديهم خبرة عسكرية سابقة. أما الأشخاص المشاركون في هذه الدورة فهم من خلفيات متنوعة تتراوح ما بين صاحب الخبرة، إلى الجيد، إلى الخائف، إلى القانط. وقد اجتازوا جميعاً المرحلة الأولية من مراجعة سيرة العمل الذاتية والتثبت من خلو سجلاتهم الشخصية والمهنية من أي موانع تحول دون توظيفهم. وهم الآن أمام مرحلة إثبات قدراتهم على القيام بالوظيفة، وتتراوح أعمارهم ما بين منتصف العشرين إلى أوائل الخمسين. ولا يتلقى أي واحد منهم أي أجر في أثناء مدة التدريب، غير أن شركة تربل كانوبي دفعت ثمن تذاكر سفرهم إلى ميمفيس ونفقات الإقامة حتى انتهاء الدورة.

حين وصلت إلى ساوثت ممفيس، كان المشاركون في دورة التدريب الطامحون إلى الحصول على عقود عمل مع الشركة قد وصلوا إلى فندق رمادا حيث وضع كل اثنين منهم في غرفة. وكان في الفندق مجموعات سياحية من كبار السن الذين راحوا يراقبون ويتهامسون بإعجاب واستغراب فيما بينهم عن هؤلاء الشبان وكأنهم أصناف مدهشة غريبة من التوابل. تأنق الرجال بملابس جديدة وكان واضحاً أنها لم تلبس من قبل، وهي سراويلات من نوع 5.11 ذات اللون الكاكي إضافة إلى بقية اللوازم التي يلبسها المتعاقدون الأمنيون في العادة. وهم الآن في ويست ممفيس ينتمون إلى طبقة غير محددة من المحاربين، أما في موطنهم فهم في الغالب رجال عاديون في منتصف أعمارهم يحلقون رؤوسهم لإخفاء الصلع الظاهر فيها. ولديهم أزواج، وأسر، وأقساط شهرية لدفع ثمن المنزل، وأقساط ثمن السيارة، ويحمل أكثرهم شهادة الثانوية، وخبرة عقد أو عقدين من الزمن في تطوير مجموعة من المهارات التي لها تطبيق محدود في الحياة المدنية. وقد سمعت أكثر من مرة عبر احتكاكي بهم النكتة الشائعة عن القوات الخاصة وهي أن جندي القوات الخاصة بعد عشرين سنة من الخدمة، سيكون بيده خاتم من التوباز،

obeikandl.com

ودراجة نارية من نوع هارلي، وزوج ناشز، ويمكنه التقدم بطلب للعمل في متجر وول مارت في وظيفة محيي الزبائن على المدخل الرئيس.

يرأس برنامج تدريب المنتسبين إلى شركة تربل كانوبي رجل بدين، أشقر، مرح، اسمه جم تروتمان، ويلقب بالموظ[1]، وينحدر من وسط غربي البلاد. ويعقد جم لقاءاته في جناح يقع في الطابق الثاني من الفندق، مع أنه قال لي بأن المدربين الذين يعملون تحت إشرافه يقيمون في فندق هوليدي إن المجاور؛ لأنهم لا يطيقون البق الذي يعشش في الأسرة هنا. وهو جندي سابق خدم في قوات الدلتا. ويوحي مظهر جم بسبب لياقته البدنية وسلوكه المرح بعمر يقل بعشر سنين عن عمره الحقيقي البالغ خمسين عاماً.

عمل جم في الجيش مدة عشرين عاماً وستة أشهر قبل أن يسرّح من الخدمة. أو كما يعبّر هو بقوله: «بعد أن تمضي عشرين عاماً في الخدمة، فيشت». محاكياً صوت القمامة حين تلقى في المزبلة: «لقد خدمت في بيروت، والسلفادور، وزائير، وأربع وستين دولة أخرى».

ومنذ تسريحه من الخدمة، لم يتقاعد جم من الناحية الفعلية. «لقد عملت في قطاع الأمن أكثر وقتي- سنة ونصف السنة في البوسنة والهرسك، وسنة ونصف السنة في كوسوفو، وفي الفلبين، وأفغانستان. وبعد 11 أيلول/ سبتمبر قمت بتدريب ضباط أمن الطائرات».

كان جم ناجحاً في حياته المهنية. وقال لي ينصحني، «إنك لا تستطيع أن تعيش حياة طبيعية في هذا النوع من العمل... لم أعد متزوجاً. في هذا العمل لا يمكنك الاحتفاظ حتى بخليلة. وأراني صورة لصديقته الحالية- وهي فتاة صغيرة جذابة يبدو لي أنها من أصول مكسيكية. ولأنني أمضي كثيراً من الوقت بعيداً عن موطني، قدم لي جم نصيحة اكتسبها في إدارة العلاقات الشخصية من مسافة بعيدة: «اذهب إلى موقع (إف تي دي. كوم) واحجز بطاقات التهنئة بالأعياد والمناسبات قبل حلولها، وسيقوم الموقع بإرسال تلك البطاقات في مواعيدها المحددة».

1- الموظ هو حيوان ضخم من الأيائل ينتشر في أمريكة الشمالية ويشبه في شكله الإلكة، وهذا الأخير هو ظبي كبير الحجم.

يُظهر جم ذو الابتسامة العريضة الدائمة اعتزازه وفخره بنوعية برنامج التدريب السريع الذي يتولاّه. ويتباهى بأن جميع المدربين عنده يتمتعون بتدريب عسكري وخبرة راسخة في مجال الحراسة الشخصية، وبعضهم خاض معارك قتالية في العراق من عهد قريب. وقال لي بأن السكان المحليين في مدينة ويست ممفيس يطلقون على تلاميذه «قتلة العراقيين»، ويزعم أن «معدلات الجريمة انخفضت انخفاضاً حاداً في هذه المدينة منذ أن انتقلنا إلى هنا». ولا يعتقد جم أنه بحاجة إلى سبعة آلاف هكتار وأجراس وصفارات كالتي تملكها بلاك ووتر لكي تقوم بعملية تدريب وانتقاء المتعاقدين الأمنيين. ويؤكد لي جيم بأن «الأمر كله يكمن في نوعية المدربين... إننا نستثمر زهاء 20 ألف دولار في هؤلاء الأشخاص قبل أن نوظفهم. إننا لا نريد منهم أن يفشلوا في عملهم؛ ولهذا السبب نحرص على تمحيصهم، ونتشدد في معايير انتقائهم قبل توظيفهم».

ترسل الشركة عادة ستين شخصاً في كل دورة تعقدها، ويتوقع جم أن يرجع ثلثهم دون عروض للتوظيف. وفي هذه الدورة التي تستمر خمسة أيام، سيتدرب المنتسبون على مهارات الحماية المتقدمة بحسب متطلبات وزارة الخارجية الأمريكية للحماية الدبلوماسية، وستقاس قدراتهم على العمل بترابط وتناغم في فرق عمل تتميز بدوام التغيير. وسيتعلم الرجال مبادئ الإسعافات الأولية، وكيفية استخدام أنظمة تحديد الموقع عن طريق الأقمار الصناعية (جي بي أس) وأساسيات الأمن، وعمليات الاستطلاع المتقدم، وقيادة المركبات. ويبدأ التدريب على الأسلحة من مسدس غلوك 9 ملم باستخدام حركة فردية قبل الانتقال إلى مستويات متقدمة في إطلاق النار على مجموعات كبيرة باستخدام بنادق إم- 4 الرشاشة. ومع تقدم شركة تربل كانوبي في عملها، فسوف تدمج أسلحة ثقيلة ضمن برامجها مثل قاذفة القنابل من نوع مارك- 19، وبنادق رشاشة عيار 50. ملم، وتكتيكات متقدمة في قيادة السيارات، وفن الرماية.

يساعد في عملية التدريب مدرب اسمه سيسيل، وهو رجل مسن في منتصف الستين من العمر، سبق له أن عمل في القوات الخاصة. اصطحبني سيسل لمعاينة ميدان سباق الكلاب- منشأة بالية تكاد لا تتسع لعشر سيارات متسابقة. أما الرفاهية التي يوفرها المضمار لمشجعي سباق الكلاب فلا تتعدى بضعة مقاعد بلاستيكية، والنقانق الرخيصة،

وأنواعاً من البيرة الرديئة. وتسير الكلاب السلوقية المكممة بسرعة بطيئة نحو مربط الانطلاق، ثم يضرب الجرس معلناً بَدْءَ السباق مع انطلاق «أرنب» آلي زهري اللون -والحقيقة أنه عبارة عن لفائف بالية من القماش- على سكة حول المسار لكي تلحق به الكلاب، ولكنها لا تكاد تدركه. ويبدو أن سباق الكلاب يشابه سباق الرجال الذين جاؤوا إلى هنا سعياً وراء تحقيق حلمهم بالعمل في قطاع الأمن الخاص. ويبدو من الملل المرتسم على وجوه الحضور أنهم أكثر انجذاباً إلى الغطاء الذي يوفره هذا الميدان من شمس الظهيرة الحارقة منهم إلى رؤية الكلاب وهي تتسابق.

كان المتدربون يقودون السيارات في المنطقة الخالية من الميدان، وظهر الميدان كأنه سيرك من المخروطات برتقالية اللون والإطارات المحترقة، وسيارات سوبربان رباعية الدفع. ومع أن العين المجربة يمكنها التمييز بين مَنْ كان يعمل في المارينز ممن عمل في الشرطة أو في القوات الخاصة، إلا أن الفكرة هنا هي الحكم على كل فرد منهم بحسب مهاراته وقدرته على العمل ضمن فريق. فإذا عيّن الواحد منهم للعمل في فريق حراسة شخصية، فإن عليه إجادة العمل ضمن فريق وامتلاك القدرة على التعامل بفاعلية مع الظروف المتغيرة بغض النظر عن تدريباته السابقة.

وعلى جانب المسار، وضح لي سيسل نظام العمل المتبع: «إننا نستخدم سيارات السوبربان الكبيرة كي يتعوّد المتدربون قيادة السيارات الكبيرة... ونحن هنا نخضعهم لاختبارات الالتفاف الحاد، والانسحاب عن طريق الرجوع إلى الخلف، وغيرها من التمارين التي نستخدم فيها المخروطات البرتقالية. والهدف من هذه التمرينات هو وضع المتدربين في ظروف تشابه تعرض القافلة لهجوم مسلح في الحياة العملية، ويستخدم المدربون كُرات التنس الأرضي ذات اللون الأصفر المشع لإلقائها أمام السيارات لمحاكاة القنابل اليدوية، وعند رؤيتها يضغط المتدربون على مكبح السيارة ويرجعون إلى الخلف في مناورة للهرب والنجاة من الهجوم. وفي العراق، تتنوع السيارات التي يقودونها بين سيارة صغيرة عادية مستوردة إلى سيارات مصفحة رباعية الدفع. غير أنهم في ويست ممفيس يعتمدون على سيارات سوبربان التي تصنعها شركة جي إم سي، وسيارات تشيفي سدان التي يستأجرونها من شركة ناشونال لتأجير السيارات. ويقومون بشراء

تأمين شامل على هذه السيارات. ويقول لي سيسل: إنه يبدو أن شركة ناشونال لا تهتم حين نعيد إليها السيارات وعليها آثار الكدمات. «أو على الأقل لم نسمع منهم أي شكوى من ذلك». أعدنا إليهم واحدة من السيارات التي تعرضت للانقلاب أكثر من مرة، ولا أتذكر القصة التي اختلقناها لتفسير حالة السيارة، ولكنهم نظروا إلى السيارة، ثم نظروا إلينا وابتسموا».

تتباين مهارات الطلاب في قيادة السيارات تبايناً كبيراً، فبعضهم كان يتردد في القيادة بسرعة، وبعضهم كان يفقد السيطرة. واصطدم آخر بسيارة أخرى في حادثة ثانية تتطلب تقديم تفسير مقنع لشركة تأجير السيارات. واستولى الذعر على بعضهم فكان يستدير إلى اليسار حين كان المدرب يأمره بالالتفاف إلى اليمين. ويقدم بعضهم الأعذار ويكتفي آخرون بإطلاق اللعنات والشتائم. ولا يشعر المدربون بالغضب، بل كانوا يقترحون بهدوء على الطلبة تحسين الأداء ويقدمون ملحوظاتهم ونقدهم بما يتلاءم مع متطلبات العمل مع تربل كانوبي. وقال لي سيسل: «إننا نقود السيارات بشدة وثقة، ولكننا نحافظ على التوازن بين كون المرء بارزاً وكونه مغناطيساً لرصاص الأعداء»

تعلم سيسل في المدة التي عمل فيها مدرباً في شركة تربل كانوبي درساً مهماً وهو أن «أفراد الشرطة يحسنون فن قيادة السيارة؛ وأن أفراد الجيش يحسنون إطلاق النار»

اقرع، اسحب، اضرب

بعد رحلة قصيرة تجاوزنا فيها حقول القطن وعبرنا فوق جسر خشبي، وصلنا إلى ميدان التدريب على الرماية. وهذا الميدان يجعل من مسار سباق الكلاب ما يبدو فخماً إذا ما قورن به. وحين وصلنا إلى مصف السيارات، شاهدت شعار شركة تربل كانوبي متدلياً قبالة السياج المهترئ الملتف حول الميدان. واحتمالات بقاء هذا الميدان الذي استأجرته تربل كانوبي لتدريب المنتسبين إليها على الرماية تضاهي احتمالات بقاء الكثب الرملية التي أنشئ عليها هذا الميدان. والمكتب الرئيس لإدارة هذا الميدان هو عبارة عن مقطورتين متنقلتين لحمتا معاً. وفي الداخل، تغطي الجدران صور وملصقات ويافطات، وصفوف من القبعات المغبرة التي تركها رجال الشرطة والجيش الذين تدربوا هنا تذكاراً في هذا

المكان. وكان هناك صورة للرئيس بوش وزوجه لورا وعليها توقيعه. ويوجد في الميدان غرف درس متنقلة، وحاويات تخزين، بالإضافة إلى عدد من ميادين الرماية و«غرف قتل» مصنوعة من أعمدة السكك الحديدية. و«غرف القتل» هذه هي نماذج بدائية تحاكي المباني وتستخدم لتدريب الطلبة على فنون اقتحام المباني وتعقب العدو داخل الغرف، وعلى فنون القتال القريب داخل المباني باستخدام الذخيرة الحية.

كانت الحرارة تقارب 27 درجة مئوية والرطوبة عالية، وكان الضباب الخفيف المغبر يملأ السماء مع بعض الغيوم. ولدى وصولنا إلى المكان، كان الفريق قد بدأ في التدريب على إطلاق النار في أثناء الحركة. وهم اليوم يتدربون على استخدام بندقية إم- 4، وهي نسخة معدلة عن بندقية إم- 16 وتختلف عنها في كونها أقصر منها. وأكثر الطلبة يجيدون استعمال البنادق التي يستخدمها الجيش الأمريكي.

يبدو الميدان متواضعاً، فهو مكون من سكك حديدية مثبتة فوق رصيف رملي مرصوص، ومنشآت أقيمت على جناح السرعة لتقي من أشعة الشمس، وطاولات عريضة لتوفير مكان تنظف عليه الأسلحة وتعاد تعبئتها بالرصاص. وقام المدرب واسمه ديفيد، وهو شاب رياضي يلبس نظارات شمسية من نوع أوكلي، وسترة تحتية واقية من الرصاص، بشرح البرنامج وبين لي أهدافه.

«هذه التمارين هي تمارين تركز على الحركة الفورية، ونقوم بتدريب المنتسبين على أساليب الانسحاب والتراجع؛ لأنهم سيعملون في الحراسة الشخصية وليس في وحدات المدفعية. والهدف الثانوي هو الاستغلال الأمثل للتغطية، ونركز في المرتبة الثالثة على حسن التعاون مع فرق الزملاء ... إنني أحاول أن أعودهم الاتصال، وأكثر الأشخاص هنا يحسنون الرماية، لكن ينقصهم مهارة العمل ضمن فريق. يأتينا أشخاص لديهم كثير من المهارات التكتيكية. ويأتينا أشخاص بمهارات متنوعة في الرماية، غير أن بعض الذين خدموا في سلاح المدفعية لم يسبق لهم أن استخدموا مسدساً من قبل، وبعض الذين عملوا في جهاز الشرطة لم يسبق لهم أن استخدموا بندقية رشاشة، والمعوّل عليه في النجاح هنا هو قدرتهم على تحمل الضغط وحسن التعامل مع الأحوال الصعبة».

إننا نبحث عن الشخص الذي يمكن أن يقاد، ويجيد الإصغاء، لا الأصم، وأن يحسن الرماية؛ أما الشخص الذي لا يحسن العمل مع الآخرين، فليس له مكان هنا. في مثل هذه الأحوال ثمة 60% إلى 70% من الأشخاص يتحلّوْن بصفات القادة. وإذا كانوا من نوع القائد الذي لا يمكنه أن يكون تابعاً، فهذا الصنف لسنا بحاجة إليه هنا. ويمكن قراءة الشخص بمجرد التفرس فيه، وستعرف كل شيء من نظرة واحدة في عينيه. يمكنك أن توقف شخصاً في منتصف التمرين وتسأله عما يفعل، فإذا نظر إليك نظرة الغزال المندهش من ضوء السيارة المسرعة المتجهة نحوه، فاعلم أن عقله هو لوح كبير ممسوح ليس عليه شيء. وأقول لهم دوماً، إذا كنت لا تعلم ما الذي تفعله، فلا تسرع في إنجازه»؛ لأن المتعاقد الأمني لا يحتفظ بكميات غير محدودة من الذخيرة، وعليه أن يحرص على كل رصاصة في حوزته.

استأذن ديفيد قبل أن يتوجه إلى إلقاء درسه على مجموعة من المتدربين الذين يحملون بنادق إم- 4 الرشاشة. كان التمرين يفترض أنهم يتعرضون لهجوم، والهدف منه هو إتقان مهارات تنفيذ الانسحاب. انقسم الفريق إلى مجموعات كل واحدة مكونة من شخصين، ومارسوا تكتيك «اجر وارم» وفيه يقوم واحد بإطلاق النار لإشغال العدو، في حين يجري الآخر منسحباً إلى الخلف، ثم يتبادل الاثنان الدور، فيقوم الشخص الذي انسحب بمشاغلة العدو بإطلاق النار ريثما ينسحب صديقه ويصل إليه ويعيد تعبئة الرصاص. وتعاد الكرّة. وبعد انتهاء التمرين، صاح ديفيد فيهم قائلاً: «حسناً، حسناً، لنتذكر أن نتواصل بلغة إنجليزية بسيطة، سليمة».

وعلى الرغم من أن المدربين يفضلون استخدام اللغة الإنجليزية البسيطة، إلا أنهم يصدرون تعليماتهم وأوامرهم عبر مكبرات الصوت مستخدمين لغتهم الخاصة بهم: اترك مسدسك «ساخنا[1]، سنتدرب على «الناشف»[2] أولاً ثم بالذخيرة الحية. «امتص الظل. راقب سلاحك. اشرب الماء. البس حزام بندقيتك». ويستخدم المدربون مزماراً هوائياً للإيعاز بوقف التمرين، وذلك لإعلام الطلبة بتكتيك أفضل، كإطلاق النار حول

1- أي معبأ بالذخيرة وجاهزاً لإطلاق النار.

2- أي دون ذخيرة حية.

obeikandi.com

عملاء أفغان يبحثون عن ابن لادن

جيمي سيمث على الحدود الأفغانية الباكستانية

القوات شبه العسكرية

منظر لمبنى بشتوني تقليدي في **غارديز**

إريك برنس في بلدة شكن

إطلالة على المناطق الباكستانية من نقطة استحكام يحرسها جندي أفغاني يعمل لمصلحة الأمريكيين

قاعدة أمامية لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في شكن

الرئيس التنفيذي لشركة ساندلاين تم سبايسر مقتاد
إلى المحكمة في بابوا نيو غينيا

الألماس الدموي كان السبب وراء
اندلاع الحروب في أنغولا وسيراليون.

المرتزقة

طيارون تابعون لشركة النتائج التنفيذية في سيراليون
وأمامهم طائرة مي 24- المزودة بالمدافع الرشاشة

مقاتل من الكامجور وتظهر عليه
التمائم والتعاويذ السحرية

كوبوس كلاسينس وحوله جنود مرتزقة تابعون لشركة النتائج التنفيذية
وكلهم جنود سابقون من كتيبة 32 (الجواميس) في سيراليون

شانون كامبل مع فريق الحرس
المرافق لبول بريمر في العراق

فريق الحرس الشخصي المرافق من
شركة دينكورب في حراسة حامد كرازاي
الذي يظهر في وسط قصره في كابول

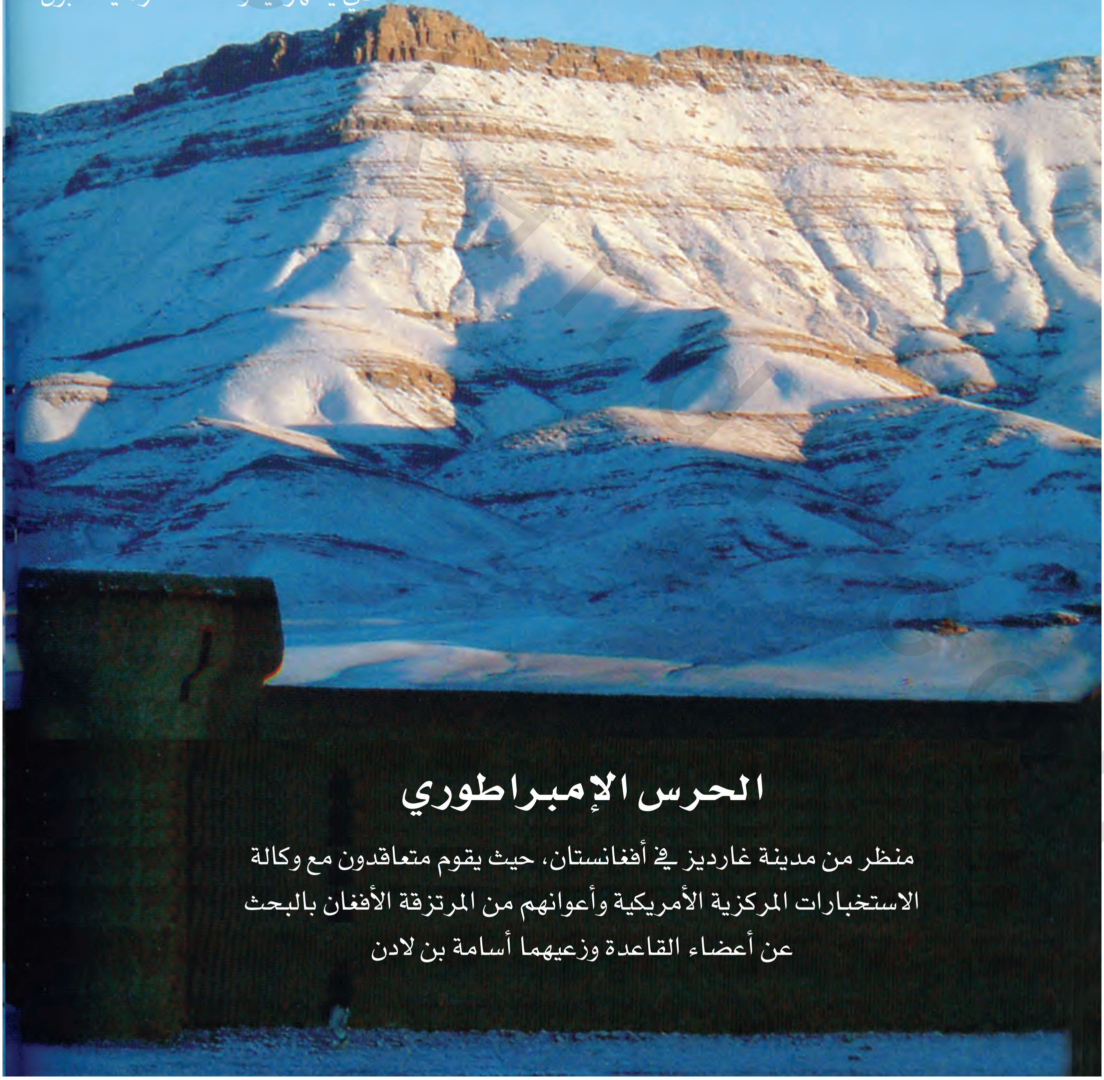

الحرس الإمبراطوري

منظر من مدينة غارديز في أفغانستان، حيث يقوم متعاقدون مع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية وأعوانهم من المرتزقة الأفغان بالبحث عن أعضاء القاعدة وزعيمها أسامة بن لادن

غريغ ماكسيم (الرابع من شمال الصورة) مع أول فريق حراسة شخصية للرئيس كرازاي (الشخص السادس من الشمال)

بيلي وا، أكبر المتعاقدين المستقلين سناً من القوات شبه العسكرية الذين عملوا مع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية

كيث «جاك» إيدما في تورا بورا

غريز وتوول يقضيان فترة
استراحة في أثناء العمل

طائرة مروحية تابعة لشركة بلاكووتر تقوم تزويد
المتعاقدين المحاصرين في النجف بالإمدادات

المشهد العراقي من عيون فريق أمني خاص

المتعاقد الأمني الملقب بـ «قرد مؤخرة السيارة» ويظهر
في الصورة الحافلة التي يطلق عليها «حافلة الكراهية»
التابعة لفريق الحلة.

مياغي

فريق الحلة التابع لشركة بلاكووتر

المتعاقدون الأمنيون

متعاقدون أمنيون تابعون لشركة بلاكووتر في مدينة نيو أورلين يقومون بأعمال حراسة عقب إعصار كترينا

متعاقدون تابعون لبلاكووتر ومعهم جنود أمريكيون تحت الحصار في النجف

الهجوم القاتل على مخيم قوات الغورخا. وهذه الصورة التقطت من المقر التابع لشركة بلاكووتر.

الانقلاب

رئيس جمهورية غينيا الاستوائية
أوبيانغ يناقش محاولة الانقلاب

سيمون مان في هراري

متعاقدون تابعون لبلاكووتر ومعهم جنود أمريكيون تحت الحصار في النجف

السفينة المسماة «روزلين جُوي»، كانت جزءاً من أسطول تربل أوبشن للنقل البحري في محاولة الانقلاب التي وقعت عام 2004، وتظهر في الصورة في ميناء باتا.

نقولا دو توا عام 2002 وعام 2006

طائرة أنتونوف التي استأجرها

الزاويــة، وأحيانــاً ليقولوا لهم بأن ما حــدث لو وقع في الحياة العمليــة لكانوا جميعاً في عداد القتلى».

وفي إحدى المرات، علقت الطلقة داخل بندقية أحد الطلبة- أو كما يقال في لغة الرماة دخّنــت البندقيــة- وتوقـف الطالب ميلر لإخــراج الطلقــة، فأوقف ديفيــد الدرس ليريه الطريقة الصحيحة لإخراج الغلاف الخارجي من الطلقة دون أن يعرض زملاءه للخطر. «حسنــاً، إذا حــدث أن علقت الطلقة داخل أنبوب البندقية، تذكــر ... اضرب بيدك على الماســورة». ثم حــوّل البدالة إلى الجنب. «اسحــب». وسحب ديفيد بأصبعيــه الأسطوانة المعدنيــة التي تحتوي على الخرطوشة. «لاحــظ». ثم نظر بداخل ماسورة البندقية للتيقن مــن أن الرصاصــة قد خرجت فعلاً. «حسناً، بعد ذلك، حرر ثم اقرع». ويطلق ديفيد على هذا المبدأ «سبورت»[1] رفع أحد المتدربين يده قائلاً: «إننا لا نستخدم هذه اللفظة الأوائلية في قوات البحرية، بل نستخدم عبارة: «اقرع، اسحب، اضرب»

فــرد عليه ديفيد: «مهمــا كانت القبيلة التي تنتمي إليها، اتبــع الخطوات التي ذكرتها لكم، وكفى».

في ذلــك المســاء، اجتمع المدربــون في فندق رمــادا في جلسة مغلقة لتقريــر من سيقع عليه الاختيار للعمل في الشركة ومن سيفوته الحظ، وكانوا يجتمعون كل يوم لمناقشة أداء المتدربــين وتصفية المؤهلين من غير المؤهلين. كان في الاجتماع تسعة مدربين وموظف من الشركــة. وسيقوم أربعة منهم بتقويم أداء الطلبة في قيادة السيارة، في حين يتولى خمسة منهم تقويم أدائهم في الرماية. ويوضح جم قائلاً: «بدأنا بستة وأربعين منتسباً، أسقطنا اثنين غــير مؤهلين، والآن لدينا ثمانية وثلاثون، وهذا العدد ليس سيئاً، لكننا بحاجة إلى غربلة المزيد. في الدورة السابقة أسقطنا تسعة في يوم واحد. ونفكر الآن بإسقاط بعضهم بسبب الإخفاق في توخي الحيطة والسلامة في استخدام السلاح».

أغلــق أحد المدربين باب غرفة الاجتماع في الفندق التي يطلق عليها بمحض المصادفة غرفة الدلتا، وأسدلت الستائر على النوافذ، وفتحت علب البيرة وأكياس رقائق البطاطا.

1- SPORT وهذه الكلمة هي اختصار للأحرف الأولى من الخطوات المذكورة slap, pull, observe, release, tap

وكان علـى الطاولة التي جلس حولهـا المجتمعون حزمة من الملفات ذات لون حنطي وفيها سجـلات كاملة عـن المتدربين مرفقـة بصورة كبيرة لـكل واحد منهم. ومـع أن المدربين يملكـون معلومات وافية عـن كل مرشح، إلا أنهـم كانوا في أثناء مناقشـة الأداء يشيرون إليهـم بحسب الأرقام التي أعطيـت لهم وقت تسجيلهم في الـدورة. سحب أحد المدربين أحـد الملفـات وقرأ الرقـم الموجود على الملف، ثم نظـر حوله باحثاً عن اتفـاق في الرأي. «مرتبك بعض الشيء، لكنه يحسن العمل مع الآخرين في الفريق؟»

طأطأ البقية رؤوسهم كناية عن موافقتهم لما قال وهم يرشفون من علب البيرة ماركة ميلر لايت.

«اثنـان وأربعون، وثمانية وثلاثون، وخمسة وثلاثون، وخمسة وأربعون، وواحد وثلاثون ليسوا على مستوىً مقبول».

وظهـر جلياً مـن مراجعة المدربين لأداء المنتسبين أن تركيزهـم كان على العشرين في المئـة الذين سيخفقون في اجتياز متطلبات العمـل في الشركة. وعلى الرغم من أن الجزء الأكـبر مـن غير المؤهلين جرى استبعادهم منذ البدايـة، إلا أن عدداً من المرشحين كانوا يتقلبـون بين دائرة الرفض والقبول، حيث أبقي عليهم بسبـب إظهارهم مهاراتٍ معينة، لكن ظهر فيما بعد عدم كفايتهم أو ضعفهم في اتخاذ القرار.

قـرأ أحد المدربين ملحوظة بيده كتبت بخط اليد، ثم توسع قائلاً: «أثار الرقم ستة عشر اهتماماً باكراً بعد أن غيرنا لقبه إلى «الدابة» وهو بارع في اختلاق الأعذار. لقد قلـت لـه: إن عليه أن يبقي سلاحه في وضعية الأمـان إلى أن يلمح الهدف. إنه يستحق لقـب «الأحمق»؛ لأنه تسبب في إحراق سلاحه. أمـا قدراته في التحليل فليست بأفضلَ من روث الكلاب».

وقـارن مـدرب آخر ملحوظاته. «إن رقم ستة عشر ليـس أكثر من فلينة ملقاة في نهر، ليـس لديه قـدرات على الاستيعـاب، حين يركض الآخـرون يركض معهـم، وحين يقفون يتوقـف معهم. نعم، وهنـاك شـيء آخر، لقد اضطر مايك إلى أخـذه جانباً ليتحدث إليه حـول عادتـه السيئة في التبـول. لقد كان يتبـوّل في ساحة ميدان إطـلاق النـار». وضحك الجميع حين سمعوا ذلك.

وأضاف مدرب آخر: «بالمناسبة، لقد نسي رقم ستة عشر في التدريب الأخير أن يعطي إيعاز «الرجل الأخير». وجعل ثلاثة من المنتسبين يسيرون أمامه في مجال إطلاق النار». وأضاف بأن رقم ستة عشر تلقى ثلاثة تنبيهات في يوم واحد.

وبعد تقويم أداء جميع المرشحين في الرماية، تحوّل النقاش إلى تقويم أدائهم في قيادة السيارات: «يمكننا أن نحصي السائقين الممتازين على أصابع يد واحدة، لقد أتقنوا الأداء في الموكب المكون من سيارتين بسرعة جيدة. ونحن الآن بصدد تقويم اثنين أو ثلاثة من الذين سنستثنيهم. لقد وقع تصادم قريب اليوم بين سيارة المقدمة والسيارة التي خلفها. وهذا ما حدث- خرجنا من التفاف دائري، تقدمت سيارة الطليعة لتغلق الطريق والتفت سيارة الليموزين، فصدم أحدهم السيارة من الخلف». ثم توقف المدرب برهة ليتساءل، «لدينا تأمين يغطي هذا، أليس كذلك؟» أومأ البقية برؤوسهم أن نعم. «حسناً، ليس لدي مشكلة في ذلك. القرار بالاستبعاد؟ وأومأ أفراد الجوقة برؤوسهم مرة أخرى تأييداً لما قيل دون التلفظ بكلمة واحدة. «حسناً، سنرسلهم إلى بيوتهم قبل قداس الأحد».

راجع الجميع كيس الملفات التي أمامهم وعادوا لمراجعة مناقشاتهم، وقرروا استبعاد ثلاثة من المتقدمين بطلبات عمل قبل حلول اليوم الأخير من الدورة. وهناك طالب آخر اسمه دون ستاوت، وهو شرطي سابق، رأى المدربون أنه يفتقر إلى النضج إلى حد بعيد، ولكنهم قرروا استبقاءه، ووافقوا جميعاً أنه سيحتاج إلى توبيخ وتذكير بأنه كاد أن يستبعد. ثم قام المدربون بجمع علب البيرة وأكياس رقائق البطاطا، وقفلوا عائدين إلى غرفهم في فندق هوليدي إن.

ناقش المنتسبون إلى الدورة في أثناء تناولهم العشاء تطلعاتهم وطموحاتهم المهنية، فهم على وشك الانتهاء من مدة التدريب، ومن يجتاز منهم «العقبة الأخيرة» فسوف يصل إلى حفل التخرج. ومن أعجب العجائب أن المتقدمين بطلبات عمل في الشركة لديهم فهم محدود لما سيحدث على وشك الاستبعاد. وكان أحد موظفي شركة تربل كانوبي واسمه آنجل، وهو جندي سابق في القوات الخاصة، يشاركهم العشاء ويجيب عن أسئلتهم.

افتتح دون ستاوت الذي عمل شرطياً في مدينة صغيرة بولاية المسيسيبي الحديث قائلاً: «إن هذه الوظيفة تعني لي أكثر مما تعلم. إنني متزوج منذ ثمانية شهور، ولم يسبق

أن كنـت مكلفـاً بإعالة أي أحد مـن قبل، وأعلق كثيراً من الآمـال على حصولي على هذه الوظيفة». وكان يبدو أن دون يجد صعوبة في فهم دورة العمل 30/90، إلا أن آنجل وضح له ذلـك بقوله: «إنك ستعمل تسعين يوماً في البلد، ثم تمضي ثلاثين يوماً في إجازة، ثم تعود للعمـل تسعين يوماً أخرى إذا عدت إلى فريـق الحراسة». وكلهم يعلمون أنهم سيحصلون علـى أجر يتراوح ما بين 500 دولار إلى 700 دولار في اليوم. وقام دون بإجراء الحسابات ليصـل إلى أن أجـر الواحـد منهـم في الشهـر سيصـل إلى 18500 دولار في الشهر، وفي أفضل الأحوال 162000 دولار في العام. وربما صرف للواحد منهم ثلاثون دولاراً في اليوم لتغطيـة المصروف اليومـي، كما اقترح أحدهـم. ووبخه أحد رفاقـه المتدربين على كثرة أسئلتـه، غير أن دون بدا غير مكترث بانتقاداتهم. وكانـت القضية الثانية التي تهمه هي التعويضـات التـي ستحصل عليها زوجه إذا ما تعرض للقتـل. ووضح له آنجل أنه في تلك الحالـة سيحصل على مبلغ التأمين الذي يفرضه قانون الدفاع الأساس ومقداره 65 ألف دولار، وهذا هو كل ما سيحصل عليه، ولكن كثيراً من المتعاقدين يقومون بشراء بوليصات تأمين إضافية على الحياة إذا كانوا يقدرون على ذلك. ثم رفع دون عقيرته بآخر تعليق له حول احتمال مقتله في أثناء العمل قائلاً: «في جنازتي، أريد منهم أن يعزفوا ألحان الكتيبة الملكيـة الجبلية في الجيش البريطاني باستخدام مزامـير القربة». فأدار الجميع أعينهم إلى الأعلى تعبيراً عن استهجانهم لما يقول.

الفرز والاستبعاد

كان المطـر غزيـراً ولمّا تبزغ شمـس السبت حين بدأ المشاركون في الـدورة التدريبية بالتوجـه إلى قاعة المطعم في الفندق لتناول الفطـور. جلسوا معاً في مجموعات صغيرة محاولـين الاستمتاع قدر الإمكان بما وضع على المائدة مـن الفطائر الصغيرة، ورقائق الدقيـق، وطعام فقير بالفائـدة الغذائية. وفي تمـام الساعة السابعـة صباحاً، تجمعوا خـارج قاعـة الدرس، واقفين حول الأبـواب المغلقة في حشد تنبعث منـه نكهة الصابون وعطـر ما بعـد الحلاقة. فتح أحد المدربين الباب وأشـار إلى شخص أصلع اسمه بوور، وهو قائد فريق في الشرطة الخاصة من مقاطعة أورانج بولاية كاليفورنية، بالدخول إلى غرفـة الاجتماعات في الفندق. وبعـد دقائق، رجع بوور ليقرأ قائمـة أسماء المرشحين:

«الأشخاص الآتية أرقامهم سيحوّلون إلى الإرشاد، أما البقية فعليهم الانتظار في غرفهم إلى حين استدعائهم».

وكانت الصدمة ترتسم على وجوه الأشخاص الذين طلب إليهم الانتظار حين سماع أرقامهم. وحين سمع دون ستاوت رقمه، أجفل وطأطأ رأسه. وفي لحظة واحدة تلاشت شجاعة الأمس ومظاهر البأس. وحين انطلقت المجموعة لبدء يوم جديد من التدريب، تركوا خلفهم أربعة من أقرانهم في حالة من الكآبة والحزن والتوتر.

وأول شخص دعاه المدرب كان سامَر، وهو جندي متقاعد من القوات الخاصة في بداية الثلاثين من عمره. نظر البقية إليه، وهزوا رؤوسهم، وتمنوا له حظاً سعيداً. وبعد أن أغلق الباب خلفه، خيم جو من التوتر المحسوس المفتعل فوق رؤوس الثلاثة الباقين وهم ينتظرون معرفة ما يخبئه لهم القدر. وحين فتح باب غرفة الصف، نظر الرفاق إلى عيني سامَر نظرة أمل واستجداء وترقب. فأومأ بيده محاكياً قطع الرقبة؛ فعرف الجميع على الفور أنهم مستبعدون (...).

تكررت الطقوس بعد دخول اثنين منهم وخروجهم منكّسين، وبقي ستاوت وحده. لم يكن يطيق ما حل به. نظر إلي وإذا بسيل من الكلمات المثقلة بالقنوط تخرج من فيه: «عليّ أن أعيل أسرتي، من أين سأوفر لهم احتياجاتهم؟ ليس هناك ما يكفي من فرص العمل في جبال سموكي» ثم توقف برهة، ضاغطاً على فكية بشدة ليقاوم الدموع التي كانت تغالبه، وتابع قائلاً بصوت أجش: «إنني أحمل وسام الشجاعة، كانت أمي على فراش الموت، فاضطررت إلى رفض عرض العمل مع شركة بلاك ووتر، وعرضين آخرين من شركات أخرى، إنني بحاجة إلى هذه الوظيفة. هل تعرف كم كلفني شراء هذه اللوازم والمجيء إلى هنا؟» لقد انهار كل شيء. ثم توقف عن الثرثرة، مستسلماً لمصيره المحتوم قائلاً: «لم أرَ في حياتي جمعاً أفضل من هؤلاء الرفاق. إنه إحساس شاعري أن تراهم وهم يعملون معاً. لقد سبق أن رأيت بعض الأفراد العاملين في الوكالات الفدرالية يقومون بأعمال مشابهة، غير أنها لا ترقى إلى مستوى ما يفعله هؤلاء».

كان دون ستــاوت يسير سير المهزوم، لكنه حين ظهر مرة أخرى بعد عشر دقائق، ظهر وكأنــه قد تحــوّل إلى شخص آخر. لقد منــح مهلة لإثبات جدارته؛ واكتفــي بإصدار إنذار يتعلق بأدائــه وأعطي تعليمات محددة بخصوص الحاجــة إلى تحسين أدائه. فقال لي:«يا إلهي، لقد كان ذلك مرهقاً للأعصاب»، وكان أول شيء قلته حين استدعيت للمرة الثانية، «سيــدي أرجــو السمــاح لي أن أتنفس الصعــداء»، ثم تبسم ضاحكاً مــن ابتسام القدر في وجهــه، ولكنه عاود إلى طبعــه الحرون. «إذا سبق أن رأيت فيلــم ديلفيرنس -(الإنقاذ)- فتلك هي جذوري... وليس ثمة شيء آخر لي في هذا العالم».

بعــد ذلك، خــرج جم تروتمان وأخبرني بــأن اثنين من الأربعة طلــب إليهم ألا يعودوا إلى هنــا، غــير أن الثالث (ساقر) قيل له: إنه يمكن أن يتقدم للعمل مرة أخرى بعد سنة. «إنــه بحاجــة إلى مزيد من الدعــك، وأعتقد أنــه سينجح إذا عاد في العــام المقبل». كان جــم متعاطفاً مــع الأشخاص الذين جرى استبعادهم؛ لأنهم قطعوا شوطاً لا بأس به حتى اليــوم الأخير مــن التدريب، وأنت تعلم بطبع الأشخاص هنــاك، ولا نريد أن نرسلهم إلى هناك لأنهم قد يقدمون على قتل شخص ما». كان استبعاد الفئة الأخيرة من بين الأربعة والعشريــن الذيــن استبعدوا هو الاستبعاد الأقسى والأمــرّ. ويوضح جم ذلك بقوله، «لقد اجتازوا بنجاح الجزء الأساس من الدورة، ولكننا هنا نتعامل مع الجوانب غير المحسوسة». وهــو يشعر بالحزن علــى أكثر الذين استبعدوا باستثناء شخــص واحد يتذكره جم جيداً ويشعر بالسرور لأنهم سرحوه في وقت مبكر: «تقدم إلينا شخص يطلب العمل يشبه ديفيد كوريشــ، كان يضــع كمادات واقية علــى ركبتيه، وله لحية كثيفة، وشعــر طويل- كان حقاً رجــلاً متهوراً غريباً. وغضب غضباً شديــداً حين صرفناه. إننا لا نريد أشخاصاً شديدي العاطفة وأصبعهم على الزناد. فنحن وإن كنا نعاني نقصاً في أعداد المتقدمين، إلا أننا لا نرغب في إرسال شخص كي يوجه قاذفة قنابل مارك 19 على حشد من الناس».

أمهــل المستبعــدون ساعتين لجمع متاعهم قبــل أن يقوم سيســل بتوصيلهم إلى مطار ممفيــس. وفي ردهة الطابق الثاني من الفندق، وبعد لحظات من إعلامهم بالتوجه لجمع متاعهم، صادفت شخصًا منهم أسمر البشرة، بديناً بعض الشيء اسمه ميلر، وهو جندي سابــق مــن قوات الرينجرز ، قال لي: «هذه المرة الأولى التي قمت فيها بالتدحرج كحقيبة

الدوفل ولم أكن راضياً عن مستواي». ويعترف بأن أداءه كان دون المستوى، ودعاني إلى غرفته المعتمة لمناقشة بعض الأمور بعيداً عن عيون زملائه. بدأ ميلر حديثه بالقول: إنه يقبل الانتقادات التي وجهها إليه مدربوه. وقال: «إن ما يمكنني فعله وأنا في السادسة والعشرين يختلف عما يمكنني فعله في السادسة والثلاثين من العمر».

ومع ذلك، من المؤلم أن يتقدمه شرطي سابق في بلدة صغيرة. وقال محتجاً: «لقد عملت في بنما في عام 1989... إن الشخص الآخر الذي استبعدوه هو من القوات الخاصة. ولكنهم استبقوا اثنين من الشرطة!» وهذا التشكك الذي أبداه ميلر يعكس التسلسل الهرمي الصامت للقوى في عالم المتعاقدين الأمنيين المستقلين الذي تحدده مهارات الرماية والخبرات القتالية. ويقبع عناصر الشرطة المتقاعدون في أسفل هذا الهرم، وفي المرتبة الثانية من قاعدة الهرم يأتي أفراد الاحتياط في الجيش، ثم عناصر مكتب التحقيقات الفدرالي، ثم أفراد المارينز العاديون، ثم أفراد الرينجرز، ثم أفراد وحدات الاستطلاع الأمامي في المارينز، ثم فانيلا القوات الخاصة، ديفغرو (قوات سيل 6) وعلى القمة فوقهم جميعاً أفراد قوة الدلتا. وكل طبقة من هذه الطبقات لها لغة، وثقافة، وارتباطات، وولاءات، تختلف عن الفئات الأخرى؛ لذلك تجد أفراد هذه الطبقات يميلون في أكثر الحالات إلى التجمع مع الأفراد الذين يماثلونهم في طريقة التفكير والثقافة، وتجدهم ينظرون إلى أفراد الفئات الأخرى بعين الريبة والشك. ولا يعتقد ميلر أن من الحكمة إرسال أفراد سابقين من الشرطة إلى مكان مثل العراق. وبعد أن شعر بالغضب يتسلل إليه، غير من نبرة صوته وقال: «إن هؤلاء المدربين ومع أنهم قرروا استبعادي، إلا أنهم من الطراز الأول، وأعتقد أنني لو كنت أعمل معهم، فستكون فرص بقائي على الحياة أفضل مما لو كنت مع غيرهم».

ثم بلغ ميلر حداً من الارتياح جعله يتحدث بصراحة تامة، وفي بضع لحظات سَرَدَ لي قصته. «إن عملي الخاص في الوقت الحاضر هو في قطاع النقل، فأنا أملك شركة لنقل الأثاث، وهوايتي هي التزلج المائي فوق الأمواج العالية، وهوايتي الأخرى هي القفز المظلي من الطائرات. كما أنني مدرب محترف في أصول القتال الحر. أنا الآن في السادسة والثلاثين من العمر ولن أتمكن من الاستمرار في الملاكمة والمصارعة وقتاً طويلاً. ومع

أنني أملك شركة لنقل الأثاث، إلا أنني أقوم ببعض العمليات الأمنية في بعض الأحيان، أكثرها في القطاع الخاص، وتحديداً في تقديم الحماية الشخصية. أستطيع العودة إلى الجيش ولكنني تقدمت في العمر. لدي ابنتان أمهما مطلقة، وعلي أقساط شهرية لثمن المنزل، وحين يتقدم المرء في العمر، فإن من الغباء ألا يستغل مهاراته في جني المال».

«حين وقعت أحداث 11 أيلول/ سبتمبر، شعرت بالغضب وروح الانتقام تندفع في عروقي، أردت أن أحول مسار حياتي؛ لذلك اتخذت لنفسي هذه الوجهة. كنت أنوي أن أرصد المال الذي أحصل عليه من المدة الأولى لابنتي. فأنا الآن أخوض معركة للحصول على حضانة إحدى ابنتي من أمهما. وأنا بخلاف كثير من الأشخاص في هذا العمل، أدرك حقائق أجور هذا العمل. ولنفترض أنك حصلت على ستين ألف دولار من مهمتك الأولى، فإن صافي هذا المبلغ في جيبك هو أربعون ألفاً، وإذا خدمت ثلاث مدد، فإنك قد تحصل على مئة وعشرين ألف دولار في العام، وزوجي السابقة تتقاضى الآن تسعين ألف دولار، وهي لا تعرض نفسها لإطلاق النيران».

«إنني أشعر بالانكسار اليوم؛ لأنني استرجعت ذكريات ستة عشر عاماً من عملي العسكري، وأمضيت يومين كما أراد المدربون. وليس الأمر متعلقاً بمسألة هل هم على خطأ وأنا على الصواب؟. في أحد أيام التدريب تجمدت فجأة وسط الميدان، ليس لأن الرصاصة علقت في ماسورة البندقية- بل لأنني تجمدت وأنا أقول لنفسي: إن لم أحصل على هذه الوظيفة، فلن يكون لدي المال الكافي لتغطية دعوى الحضانة».

«الشيء المشترك بيننا جميعاً هنا هو أننا جنود سابقون، ونريد أن نشارك بسهمنا في خدمة الوطن، لكننا لا نستطيع أن نكون جنوداً بواسل دون مال. أحد الشبان الذين استبعدوا اليوم هو جندي سابق في قوات الرينجرز، خرج من الجيش في الفئة الرابعة، والمسكين كان يظن أنه سيحصد المال الكثير هنا.

«عندما كنت في قوات الرينجرز، كنت أشعر بالفخر والاعتزاز، وكنت أشعر بأنني أحقق هدفاً كبيراً في حياتي، أما اليوم فلا افتخار بما أقوم به من عمل، فقد أكسب سبعة آلاف دولار في اليوم في نقل الصناديق، لكنني أقابل في عملي أصنافاً من مديري الشركات.

مدير مالي في إحدى الشركات يتقاضى نصف مليون دولار في العام وينظر إلي بازدراء، وهذا الشخص، يا صديقي، ليس أهلاً لحمل حزامي. إنك بحاجة إلى أن تكون حول أناس تحترمهم. في خمس مئة عام لن يهمهم حال شركة النفط التي تعمل فيها زوجي، لكن العراق شأن مهم. إننا نريد فعل شيء له قيمة فيما تبقى من حياتنا».

المفاجآت السارة

سيتوجه المتدربون الذين بقوا هنا إلى قاعة الدرس؛ ليتعلموا الجوانب الدقيقة في عمل الحراسة الشخصية. ولغايات التمارين النهائية، سيقسمون إلى فرق ويكلفون بأداء مهمات تشابه قدر الإمكان الواقع العملي. وسيدور التمرين حول حماية «العميل» في أثناء نقله من موقع محدد إلى مكان آخر. ويتضمن التمرين محاكاة لهجوم عنيف على الموكب، وسيقوم المدربون بتقويم فاعلية ردة فعل الفريق على الحدث وتعاملهم معه. وليس هناك شخص واحد من بين المتدربين محصن من الطرد، غير أن المدربين على ثقة من أن الطلاب جميعهم في هذه المرحلة سيحسنون صنعاً، وأن شهادات التخرج قد طبعت وذيلت بتواقيعهم الشخصية.

بدأ المدربون الدرس بسرد إيجاز عن أساسيات الحراسة الشخصية وركزوا على مصطلحات العمل الدارجة: «لديك عميل أو الشخص المقصود بالحماية. حين نكون خارج السيارة، علينا أن نسير ونحن نحيط به من جميع الجهات على شكل الماسة مسدسة الأضلاع، واحد في المقدمة، وواحد في المؤخرة، واثنين على كل جانب. بعض الناس يطلق على العميل أو الشخص المقصود بالحماية الشخصية المهمة. وهو يستقل سيارة الليموزين، وهذه يمكن أن تكون سيارة فاخرة أو سيارة كبيرة رباعية الدفع. وينبغي أن يكون هناك سيارة في المقدمة وسيارة أخرى في الطليعة أمامها، وربما كان هناك شاحنة صدم، وهي ناقلة ثقيلة الهدف منها التحرك حول سيارة العميل أو إلى جانبه لكي تدفعه عن نقطة الخطر، أو نقطة الاتصال. وهناك أيضاً فريق كات، أي فريق الهجوم المضاد. وهذا الفريق هو القوة النارية في المؤخرة. ويتكون فريق الهجوم المضاد من أشخاص شرسين متحفزين للقتال. ومن تجربتنا في العراق، وجدنا أن العراقيين -سنة وشيعة- لا يمكثون للقتال، بل الذين يأتون من الخارج هم الذين يقاتلون -فهم مثلنا- والفكرة هي

أن تشاغل العدو بالنار مدة كافية تسمح للشخص المقصود بالحماية أن ينجو بنفسه. ومتى ما تحقق لنا ذلك، فإننا ننسحب من الميدان.

«تحتوي العربة التي يركب فيها فريق الهجوم المضاد على ما يكفي من الأسلحة، والذخيرة، إضافة إلى رافعة، وصندوق إسعاف أولي، إلخ». واستخدم المدرب لوحاً أبيض لكتابة ملحوظاته، واستفسر من الطلبة عما يجب أن تحتوي عليه سيارة فريق الهجوم المضاد. ارتفعت الأيدي عالياً. وتساءل أحدهم «قنابل يدوية؟». وقال آخر «قنابل دخانية»،. وطالت القائمة: معدات رؤية ليلية ومناظير مقربة، ومعدات مضادة للقناصة، وأقنعة مقاومة للغازات السامة والأسلحة الكيماوية، وأدوات اختراق الأسوار، وأسلاك جر، ورافعة عالية. وقام المدرب بوضع قائمة منفصلة للأدوات التي تحملها السيارة الخلفية في القافلة» «ماء، وطعام، وأجهزة اتصال، أجهزة تحديد المكان عن طريق الأقمار الصناعية، وبطاريات، وعجلات احتياطية، ودروع، وخوذات». وأعار الطلبة أذناً صاغية حول ترتيب هذه الأشياء في السيارة.

سيستخدم الطلبة في تمرين الأحد أصناف السيارات على أنها أسماء شفرية في اتصالاتهم. على سبيل المثال، إذا تعرضت العملية للمخاطر، فستعلن كلمة «كورفيت» عبر أجهزة اللاسلكي. واستخدام الرموز يحتل أهمية خاصة، حتى في الاتصالات المشوشة؛ لأن السكان المحليين يمكنهم سماع المحادثات التي تنقل عبر اللاسلكي، ويمكنهم إخبار المهاجمين بها.

وقبل انتهاء درس اليوم، أعاد المدرب للمرة الأخيرة على أسماعهم القول: إنهم يتقاضون أجرهم من أجل الفرار، أي أن وظيفتهم ليست مهاجمة العدو والدخول معه في معركة، بل لحجزهم عن العميل. وسيعرف الطلبة في اليوم اللاحق مدى حسن أدائهم في «الفرار».

وجاء يوم الأحد، وكانت الأمطار قد توقفت وبزغت الشمس على يوم جميل، ونحن في طريقنا إلى ميدان مركز التدريب. قال ديفيد، مدرب الرماية، بلغته الخاصة: إنه قد أقام أهدافاً إضافية سهلة في المرمى؛ كي يشعر المتدربون بالمتعة والراحة والحظ السعيد

Operakandi.com

حين يصيبونها. وذكر أيضاً بأن الميدان سيكون خالياً اليوم: «لن يأتي أحد من أفراد الشرطة اليوم إلى الميدان حين ندفع ألف دولار في اليوم».

تجمع الطلبة في غرفة الصف المتنقلة، وراح ديفيد يشرح لهم القواعد والأصول المتبعة في ميدان التدريب على الرماية، وحدد لهم الهدف. «الوجه البني من جسم الهدف هو الجانب الذي سنطلق عليه النار. ثم قلب إشارة الهدف. «الجانب الأبيض معناه لا تطلق النار». وسيستخدم الطلبة ذخيرة حية في هذا التمرين، وسيخضع أداؤهم لتقويم المدربين. ولا يعرف الطلبة إن كان سيرسب منهم أحد في التصفية النهائية قبل اختتام هذه الدورة. وساءلت نفسي إن كان هذا الغموض هو السبب وراء حالة التوتر البادية للعيان أم أن السبب هو تمرين الرماية الحية الذي ينتظرون إشارة البدء به؟.

جمع الرجال أسلحتهم في الخارج، وكانت بنادقهم ومسدساتهم معمّرة بالذخيرة.

يملك المدربون تجارب وخبرات عملية في هذا المجال، وهم يبذلون كل ما يستطيعونه في جعل أوضاع التمرين أقرب ما تكون إلى الواقع العملي. وبشيء من الخيال، تحولت مدينة ويست ممفيس إلى مدينة في العراق، وتردد في الفضاء أصوات قرقعة بنادق إم - 4 ومسدسات غلوك وهي تفحص وتعبأ بالذخيرة، وقام الطلبة بفحص أجهزة اللاسلكي مستخدمين سماعات في الأذن وميكرفونات مثبتة على الرسغ تشبه الساعة اليدوية. ثم جلس الطلبة في سياراتهم وأخذوا مواقعهم بحيث يمكنهم إطلاق النار من نوافذ السيارة. وأبقوا على أبواب السيارات مغلقة؛ لكي يفتحوها بسرعة في اللحظة المناسبة. ومع أنهم اجتهدوا في التخطيط لهذا التمرين والاستعداد له في اليوم الفائت، إلا أنهم كانوا يدركون أن أموراً طارئة تنتظرهم في عالم المجهول.

كان التمرين الأول يحاكي اجتماعاً بين الحاكم المحلي ومجموعة من رعاياه الحانقين. والعميل -أي الشخص المكلفين بحمايته- هو مسؤول كبير في وزارة الخارجية الأمريكية أرسل في مهمة للاجتماع مع الحاكم المحلي. انطلق عضو الفريق المكلف بمهمة استطلاع المكان لمعاينته وكتابة بعض الملحوظات والمشاهدات، ثم اتصل بفريق الحراسة مقدماً تقديره لأعداد الناس الموجودين في المكان، ونقاط الدخول والخروج. وكان الشخص الذي يتولى حماية المقدمة مرتبكاً وداس على قطعة أرض وصفها ضابط الاستطلاع بأنها «أرض

مزروعة بالورود الثمينة» في أثناء مرافقتهم العميل إلى الاجتماع. وفجأة، وقبل بدء الاجتماع، خرج المدرب وبدأ بإطلاق النار على الأرض المحيطة بمكان الاجتماع محاكياً عملية لمحاولة اغتيال. قام الوكيل المسؤول عن الفريق بتغطية «العميل»، ودفعه إلى داخل سيارة السوبربان، في حين قام الآخرون بمشاغلة العدو بإطلاق النار على الهدف البني. كان أداء الفريق جيداً، ولكنهم تلقوا تقريعاً ليناً من المدرب حول أهمية الحفاظ على علاقة اجتماعية طيبة مع السكان المحليين وتجنب استعدائهم كما فعلوا حين داسوا ورودهم الثمينة.

كان التمرين الأخير أكثر تعقيداً من الأول. وفيه، كلف الفريق بمرافقة العميل إلى اجتماع مشياً على الأقدام مسافة ثلاثين متراً على رمال ناعمة من المكان الذي اصطفت فيه السيارات. وكانت الغرف والمداخل مربكة، وفي هذه المرة كان على الفريق حماية اثنين من العملاء. كما كان هناك مجموعة من الرجال المختبئين في الغرف، بعضهم من الطرف المعادي، وبعضهم الآخر حشود من رعاع الناس. وقام بعض المتدربين بلف بعض القمصان على رؤوسهم على شكل العمائم، وبدأ إطلاق النار فور وصول فريق الحراسة إلى قاعة الاجتماع، وبدأ جمهور العوام بالصراخ والهتاف بعبارات معادية لفريق الحراسة الشخصية، ثم عمت الفوضى بعد أن اختبأ أحد العميلين المقصودين بالحماية تحت منضدة كانت أمامه تجنباً لإصابته بالرصاص، ثم راح فريق الحراسة الذي تفاجأ باحتجاجات الجمهور يطلق النار في الهواء لشق طريقهم للخروج من القاعة؛ ليكتشفوا بعد أن نجحوا في الخروج أنهم تركوا خلفهم العميل الثاني. وحث المدرب الجمهور المحتج على أخذ العميل الذي تخلف رهينة عندهم. دخل فريق الحراسة في اشتباك مع العدو وهو يشق طريقه إلى موقف السيارات، ووضعوا العميل الأول في السيارة بعد أن سقط عدد منهم قتلى، ويجب عليهم الآن أن يسحبوا رفاقهم القتلى بدروعهم وأسلحتهم فوق الرمال، وعلى من تبقى من أعضاء الفريق وهم على ما هم فيه من الإعياء والتعب، أن يقاتلوا العدو إلى أن ينجحوا في العودة إلى قاعة الاجتماع. غير أن الفريق «قتلوا رمياً بالرصاص» وقرر المدرب أن العميل الثاني سيكون ميتاً في مثل هذا الظرف، وبالأخذ في الحسبان أن أكثر أعضاء الفريق هم ما بين قتيل وجريح، إضافة إلى هلاك أحد العميلين، فإن محاولة الاستمرار في القتال، وإن كانت عملاً بطولياً، إلا أنها ستكون محاولة عديمة الجدوى».

قــام المدرب باستدعاء الطلبة، وسألهم عن رأيهم في تمرين اليوم. فأجاب أحدهم: «لقــد ارتكبنا أخطاءً فادحة». وقــال آخر: «ظلال الفلوجة»،. ثم قــدم لهم المدرب رأيه وتقويمــه لمــا حدث: «لقد أحسنتــم صنعاً في الدخول، لكن حين تعقــد الموقف ... نسيتم أن تعينوا وكيلاً مسؤولاً ثانياً –وعادة ما يكون هذا الشخص هو القائد المناوب– لمراقبة العميل الثاني».

ثــم أتبع المــدرب (دون) تلــك الملحوظات بنقطة أخــرى تستجدي النــدب والعويل. «علينــا الآن أن نبلغ أقارب العميل بمقتلــه، وسنسهر الليل بطوله في كتابة التقارير حول ما حدث».

وعلــى الرغم مــن هذا الأداء السيئ، فلــم يرسب أحد منهم مــن برنامج التخريج. واكتفى المدربون بتقديم أهم عبرة من التمرين الأخير وهي: «أن من يدخل معكم يجب أن يخرج معكم».

التدريب على تنفيذ العمليات الإرهابية

يمتــزج مشهد المناطــق الصناعية القاتم بمــروج الأعشاب الصفــراء الفسيحة التي تغطــي أراضــي مستنقعات الشواطئ الشرقيــة التي يمكن رؤيتها في أثنــاء المسير باتجاه الجنــوب على الطريق السريع آي – 95 من واشنطــن العاصمة. وحين اقتربنا من مدينة ويليامزبــيرغ، اجتزنــا المخرج المــؤدي إلى معسكر بــيري، «المزرعة» التــي تتخذها وكالة الاستخبــارات المركزية مركزاً للتدريــب. وتقع حول مصب نهر البوتومك قاعدة نورفلوك البحرية التي تمثل العصب المركزي لسلاح البحرية الأمريكية، حيث تبرز من بعيد وسط شبكة من رافعــات الحاويات، والسفن العملاقة، وأحواضــ التخزين مترامية الأطراف. ويقــع المقر الرئيــس لقوات سيل (الصاعقــة البحرية) في الشاطــئ الشرقي في القاعدة البحرية الواقعة قرب مدينة ليتل كريك.

كنت في طريقي متوجهاً إلى ميدان التدريب التابع لشركة بلاك ووتر، ويرافقني وولتر بيــوردي الــذي طلب مني مساعدته في تدريس برنامج يستمــر أسبوعاً يطلق عليه «صورة طبــق الأصل». وصديقنا وولتر هو جندي سابق في قوات المارينز، وسبق له أن خدم ضمن

طاقم الحرس الشخصي للرئيس الأمريكي في الطائرة المروحية الخاصة بالرئيس. وجاء في وصف البرنامج بأنه «دوره تدريبية ميدانية مكثفة مصممة لتحاكي الحيل والأساليب التي يستخدمها الإرهابيون في تجنيد أتباعهم وتدريبهم، بالإضافة إلى تكتيكاتهم العملياتية». وسيمضي المشاركون في هذه الدورة وعددهم يقارب الستين شخصاً أسبوعاً كاملاً في تعلم طريقة تفكير وتصرف الإرهابيين؛ وذلك حتى يتكون لديهم فهم أفضل لتكتيكات الإرهابيين وتوقعها. وقد أتى المشاركون في هذه الدورة من مواقع مختلفة، من القوات الخاصة، والخدمة السرية (الحرس الرئاسي الخاص)، والمارينز، ومكتب التحقيقات الفدرالي، والمتعاقدين الأمنيين، وغيرهم من الأشخاص الذين اختيروا بعناية للمشاركة في هذه الدورة.

جاءت دعوة بيوردي لي للمشاركة في هذا البرنامج انطلاقاً من اعتقاده بأنني لابد أنني قد تعلمت شيئاً من خبرتي الطويلة في السفر والإقامة مع الثوار الإرهابيين والجماعات شبه العسكرية. ومع أن هذه الدورة أقيمت ضمن إطار «مركز أبحاث الإرهاب» إلا أن بيوردي تمكن من عقد صفقة مع إريك برنس مكنت بيوردي من الاستفادة من ميدان بلاك ووتر الفسيح المجهز بأحدث الأجهزة.

وعلى الرغم من أن برنس اكتسب خبرة في سلاح البحرية حين كان يعمل في نطاق العمليات غير السرية لقوات سيل، إلا أن الانطباع السائد عن بلاك ووتر متأصل ثقافياً في فريق سيل- 6 المتخصص بالعمليات السرية، أو ما يعرف اختصاراً بمصطلح «ديفغرو»، وهي مجموعة نخبوية متخصصة في مكافحة الإرهاب، وتمثل النسخة البحرية من مجموعة الجيش الأمريكي للتطبيقات القتالية المشهورة باسم قوات الدلتا. ونظراً للطبيعة السرية لأكثر الأعمال التي يقومون بها، إضافة إلى ارتيابهم من وسائل الإعلام، فإن عدداً قليلاً ممن هم خارج هذه المجموعة نالوا مزية زيارة مجمع التدريب التابع لبلاك ووتر.

استغرقت رحلتنا إلى مركز التدريب مسيرة ثلاث ساعات في السيارة المستأجرة من نوع فورد إكسبيدشن التي كانت محملة بالبنادق والمسدسات، والذخيرة، وأجهزة محاكات البنادق، والبرادات، والمعدات الواقية. وحين قطعنا الحدود إلى ولاية نورث كارولينا، بدأت تظهر على جانبي الطريق السريع ذي المسارب الأربعة، بعض المباني

obeikandl.com

الصناعية المبعثرة هنا وهناك، والكنائس التي تضع لافتات تعلن يا نصيب البنغو، أو السمك المقلي، وشاهدنا تجمعات من البيوت الجاهزة المحاطة بساحات منمقة من عشب النجيل الأخضر. وقد قيل لنا: إن الشرطة المحلية تهوى نصب الكمائن التي يقع فيها الزوار من خارج الولاية الذين يبدون جرأة في تجاوز السرعة المحددة في المناطق الخاضعة لسلطتهم، ولا يترددون في استقبال زوار مقاطعة مويوك بمخالفة مرورية ودّية على تجاوز السرعة قيمتها 128 دولاراً.

تعد بلاك ووتر أكبر مستخدم للأيدي العاملة في هذه المنطقة، حيث يعمل فيها ما لا يقل عن مئتين وخمسين موظفاً وعاملاً في مصنع الأهداف المعدنية للرماية، وفي ميادين التدريب على الرماية. ويمكن لأعداد العاملين والعاملات أن يرتفع إلى خمس مئة إذا كان مركز التدريب يعمل بكامل طاقته في تدريب المتعاقدين الأمنيين قبل إرسالهم لتنفيذ العقود التي تبرمها الشركة. وهذا الرقم لا يشمل بطبيعة الحال المتعاقدين الذين يعملون في أفغانستان والعراق أو في المناطق الأخرى. وقبل 11 أيلول/ سبتمبر، ربما كانت أعداد الدببة في هذه المنطقة تفوق أعداد العاملين في السبعة آلاف هكتار من الأرض السبخة التي يملكها إريك برنس.

استقى اسم الشركة «بلاك ووتر» (أي المياه السوداء) من جداول المياه الداكنة بفعل حمض التانّيك والخضار المتعفنة. والأرض في هذه المناطق سهلة منبسطة مغطاة بأشجار الصنوبر في بعض منها، وفي بعضها الآخر مروج خضراء مترامية الأطراف. ويمكن مشاهدة الدب الأسود الكبير -الذي اتخذت شركة بلاك ووتر من براثنه شعارا لها- في ساعات الصباح الباكر وقبل الغروب وهو يسير بخُطا متثاقلة على طرف المستنقعات بحثاً عن ثمار التوت.

ذكرني المكان بالمعسكرات الصيفية للكشافة، إن لم يكن ذلك بسبب أصوات إطلاق النار، فبسبب النصب الكبير الذي يحمل الشعار المكون من قوس خشبي وتحته مجسم لبراثن الدب، وبدا أننا قد ولجنا دوامة من ضجيج إطلاق النيران. وحتى مع وجود سبعة آلاف هكتار، كانت أصوات إطلاق العيارات النارية — من البنادق، والمسدسات، والأسلحة الآلية من مختلف الأعيرة، برشقات متوالية وفردية ومتقطعة- تلاحقنا طول

مسافة أربعة الأميال التي قطعناها قبل الوصول إلى المقر الرئيس لبلاك ووتر، وهو المكان الذي تدار منه واحدة من أسرع الشركات الأمنية نمواً وأكثرها مثابرة. والمشهد هنا يقف على النقيض من هذه الصورة، ذلك أن هذا المقر الرئيس يقع في مجموعة من المباني التي تشبه المنازل الفخمة التي تُشاد للاستجمام الريفي قبالة بحيرة كبيرة، وتحيط بها مناطق كثيفة الخضرة، وعلى مقربة من هنا شيدت بناية بدائية لتكون مسكناً للطلاب في أثناء مدة تدريبهم في هذا المكان.

بعد وصولنا بوقت قصير، تجمع المشاركون في الدورة لسماع تقديم موجز عن الدورة وما تغطيه من موضوعات. ثم تعرفت المدربين الآخرين: شرطي بريطاني عمل في جهاز الشرطة السرية في ايرلندة الشمالية، وآخرين من قوات المارينز الذين نجَوْا من التفجير الذي استهدف السفارة الأمريكية ومعسكر المارينز في بيروت، إضافة إلى مجموعة متنوعة من أصحاب الخبرة و المهارات المتخصصة التي تتراوح ما بين المتفجرات إلى طريقة تفكير الإرهابيين وفلسفتهم. ثم تعرفت الطلبة: رجال ونساء يعملون في حقل مكافحة الإرهاب الذي بات تجارة رائجة هذه الأيام، وقد تبين لي بعد أن عرف الطلاب بأنفسهم، أن أكثر اللاعبين في الحرب على الإرهاب لهم تمثيل في هذه الدورة؛ إذ تعرفت إلى متعاقدين أمنيين، وعاملين في وزارة الأمن القومي، وأفراد من العمليات الخاصة في الجيش، ومن الشرطة، وقوات المارينز، وبعض الذين اعترفوا بأنهم من جهاز الاستخبارات، وامتنع عدد لا بأس به من المشاركين عن الإفصاح عن اسم الجهة التي يعملون فيها. بعض المشاركين التحق بهذه الدورة على حساب الحكومة، وبعضهم الآخر دفع التكاليف من جيبه الخاص. ولما كانت هذه الدورة دورة متقدمة، فقد كان جميع المشاركين على دراية وخبرة في مكافحة الإرهاب، سواء تحصل ذلك من العمل المكتبي في الدوائر الحكومية أم من العمل الميداني في الشرق الأوسط، ولا بد لأي متعاقد أمني قُبِل في هذه الدورة أن يكون قد اجتاز مراحل التمحيص التي تسبق قبوله للعمل في الشركة التي يعمل فيها. ويسعى المشاركون في هذه الدورة إلى رفع مستوى مهاراتهم المهنية ومركزهم الوظيفي، وقد كان الطلاب متحمسين ومتلهفين؛ لأن هذه الدورة لن تقتصر على إلقاء المحاضرات وعرض شرائح «باور بوينت»، بل سيكون فيها رماية حيَّة باستخدام الأسلحة

النارية. وبعد تناول بعض المرطبات وتبادل الأحاديث، توجه الجميع إلى مخادعهم لأخذ قسط وافر من النوم استعداداً ليوم طويل في الغد.

كانت أصوات إطلاق العيارات النارية من الأسلحة وأصوات المتفجرات تعكر صفو الهدوء في هذه المنطقة الريفية ليلاً ونهاراً عدا بعض الأوقات القصيرة بعد الفجر وقبيل الغروب. أما الطيور، والحشرات، وغيرها من الحيوانات التي تصدر الأصوات في الغابات في العادة، فقد رحلت عن هذا المكان على إثر أصوات الطلقات النارية القوية. وقلت في نفسي متهكماً قبل أن أخلد إلى النوم وسط هذه الأصوات: «معسكر صيفي للمرتزقة».

في اليوم الأول، كان علينا أن ننبه الطلبة المشاركين من نومهم لبدء التمرين. خرج المشاركون لابسين السراويلات القصيرة، والقمصان ذات الأكمام القصيرة، وأعطي كل واحد منهم كوفية كالتي يلبسها الفلسطينيون عادة، ويشتري وولتر هذه الكوفيات بالجملة من تاجر يهودي من بروكلين في نيويورك. وأعطي كل منهم نسخة من القرآن، ثم قسّم الفريق إلى مجموعات كل مجموعة مكونة من عشرة أشخاص، على أساس أن كل واحدة تمثل مجموعة إرهابية مختلفة. ولما كنت قد أمضيت وقتاً مع الثوار في غروزني، فقد أطلقت على مجموعتي اسم «الشيشان».

بدأت عملية الإحماء قبل الشروق في تمرين يتطلب من كل فريق الولوج خفية عبر شبكة عنكبوتية متشعبة من الحبال دون لمس الحبال أو إحداث أي صوت، وهذه عملية تشابه التكتيكات التي يستخدمها الفلسطينيون في التسلل عبر الحدود «الإسرائيلية». وكُلّف أحدُ الأشخاص برصد الأصوات ومراقبة الأداء. خلع «الشيشان» أحذيتهم تجنباً لإحداث أي صوت، أما أعضاء الفرق الأخرى فلم يرغبوا في تعريض أقدامهم للاتساخ والبلل - خطوة سيئة - إذا انتهى بهم الأمر إلى قضاء المزيد من الوقت في إعادة التمرين مرات عديدة، وبعد انتهاء من هذا التمرين، أُمر المشاركون بالهرولة الجماعية على نمط هرولة الجيش البريطاني حيث يقفز الطلاب قفزات عالية ضاربين على ركبهم أو أقدامهم في اللحظة المناسبة وهم يرددون خلف وولتر الأناشيد العسكرية، ثم توجه الجميع لأداء صلاة الفجر، أكثر المشاركين في هذه الدورة لديهم معلومات محدودة عن الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية؛ لذلك بدئ اليوم الأول بمحاضرة عن هذا الموضوع وعن كيفية أداء الصلاة،

ثـم توجـه المشاركون بعد أداء صـلاة الصبح إلى الاستحمام السريـع، ومن ثم إلى قاعة الطعـام لتناول الفطور. يقدم المقصف -الذي يـزود المقيمين في هذه المنشأة- المشاركين بالطعام. لقد كان طعام الفطور مكوناً من فطائر البيض، وأقراص صفر مطاطية مريبة، وشرائـح لحمية مشبعـة بالدهون، والبسكويـت إلى جانب رقائق الـذرة والقمح، واللبن، وفطائـر الكعك المستديـرة. وكان هناك لافتة موضوعة أمـام المطعم حيث يوجد الطعام تقول: «الرجاء ملء الصحن مرة واحدة فقط»، غير أن عدداً قليلاً جداً كان لديه الرغبة أو قوة التحمل في تحدي هذه القاعدة.

تنقسـم الدورة إلى محاضـرات في الصباح وتمارين ميدانيـة في المساء؛ لذلك توجه الجميـع بعد تناول الإفطار إلى قاعة الدرس. ويوحي الطابع المعماري للمباني المخصصة للتدريس بأنها مكان تزاوج فيه الحديد الصناعي بالبناء الخالي من الجوانب الجمالية، كمـا أن انتشار المباني المتنقلة الحديثة حول المكان يدل علـى أنه توسع من النواة. وكانت جـدران غرف الدرس مزينة بصور كبيرة ملونة للمسدسـات والبنادق، إضافة إلى صف من جذوع مطاطية بحجم الإنسان الطبيعي تستخدم للتدريب على الملاكمة.

وفي الخـارج، كان إطـلاق النـار المستمر سبباً في إثارة هيـاج كلاب الأثر المدربة على البحـث عن المتفجرات، وشاهـدت صنفين منها، همـا «المالتويز» البلجيكـي و«الشيبرد» الألمـاني. ويمكـن للجالس في قاعـة الدرس سمـاع صوت يـتردد باضطراد «طـاخ، تنغ، طـاخ، تنغ» صادر عن مسدسات الرماة المحترفين وهـم يصوبون طلقاتهم نحو الأهداف الحديدية البيضاء في ميدان الرماية القريب، وكنا نسمع كذلك أصوات الطلقات النارية في ميـدان آخـر أبعد مـن الأول حيـث كان القناصة يصقلـون مهاراتهم علـى استخدام بنـادق القنص عيار 50 ملم. وتضفي الجـدران الحديدية لغرف الدرس ومصنع أهداف التدريـب علـى الرماية صـدىً مطولاً مدوياً علـى أصوات تلك الطلقـات، وهو ما زاد من تشـوّق الطلبـة للتوجه إلى الميدان وإطـلاق النـار، ولكن كان علينـا أولاً أن نبدأ بمشاهـدة عروض باور بوينت، وأفلام الفيديو. ومن حسن الحظ أن الدرس كان يتناول موضوعات مملـة تتناول بالتفصيل طريقة صنع القنبلة. ثم قمنـا بمناقشة التكتيكات التي تستخدم في الهاجمات الناجحـة بالقنابل وفلسفة مختلف الجماعات الإرهابية- قُدّمت من وجهة

نظـر الإرهابيين، وكان الطلبـة يخرجون في مُدَدِ الاستراحة للتدخـين. وأنشأت السجائر بينهم رابطة صداقـة، فكانوا يطلقون على أنفسهم ألقاباً بعد الاطمئنان أن هذه الألقاب مقبولة لدى أصحابها. فحين خرج مايكل، وجون، وجانيت إلى الخارج للاستراحة، عادوا بألقـاب جديـدة هي، أبو آسيتن، والقـزم الغضبان، وأم كرة القـدم. وبدأت الرابطة بين الجماعة في النمو.

كان موعـد محاضرتي في نهاية الأسبوع؛ لذلـك قررت أن أتوجه إلى المباني التي تضم المقـر الرئيس لبـلاك ووتر، وحين دفعت البـاب الزجاجي لمدخل المبنـى، كان أول ما وقع عليه بصري شاشة تلفاز كبيرة ضبطت على محطة فوكس نيوز. ولقد شعرت لدى دخولي البهو أنني في متجر لبيع البنادق، أو في معرض للحيوانات المحنطة؛ لأن المكان كان فيه دب محشو محنط كان قد اصطيد في هذا الموقع، وكان سنور بري محنط يطل برأسه من فوق الستارة، ووضع ثعلب محنط فاغراً فاه على بعد سنتيمترات فقط من حجلة محنطة.

ويأتي أكثر المتعاقدين إلى المقر الرئيس هنا قاصدين المتجر الذي يبيع الهدايا واللوازم التي يحتاجها المتعاقد الأمني، وهو متجر يبيع أصنافاً عريضة من المعدات والأدوات التي يمكنهـا أن تأتي بسهولـة على أجرة أسبوع مـن راتب المتعاقد. ويمكـن لأي شخص يأتي إلى هـذا المتجـر أن يجهز نفسه تجهيـزاً كاملاً للعمل في الحقـل الأمني الخاص، ويمكن لأي شخـص ذي مال وفير أن يشتري كل مـا يحتاجه؛ لكي يظهر بمظهر المتعاقد الأمني. ويعرض أريك برنس في هـذا المتجر أصنافاً خاصة من الملابـس التي تحمل شعار بلاك ووتـر، وتلبـي احتياجات المتعاقـد الأمني الأنيـق. غـير أن القمصـان والسراويلات من ماركـة «رويـال روبنز» 5.11 ذات اللونين الأخضر والحنطي هـي الخيار الأكثر بروزاً من بـين الملابس المعروضة، وتضيف ساعة «سونتو» التي تحفـظ في الجيب إضافة نوعية إلى شكل المتعاقد. وهناك أيضـاً معدات تكتيكية باللونين الأخضر والحنطي من صنع «بلاك هووك» (وليس لها علاقـة بشركة بلاك ووتر)، وأحذية تسلق الجبال؛ والدروع، وحقائب المخيمـات، بالإضافـة إلى إضافـات البنادق، كالأحزمـة، والمناظير المقربـة، والحقائب المحمولـة، وهـذه كلها يمكـن أن تستنفـد كامل الرصيـد في أي بطاقة اعتمـاد مصرفي. وطبعـاً يجب ألا ننسى أهـم أدوات المتعاقد الأمني التي هي النظـارات الشمسية. ويمكن

لأي زوج مـن هذه النظارات من الماركات العالمية مثل «وايلي إكس، وأوكلي، وماوي جمز»، وغيرها من الماركات الفارهة أن تكلف المتعاقد الأمني 300 دولار أمريكي. ومع ذلك، فإن النظـارة الشمسية المناسبة هي إضافة مهمة لا بـد منها؛ لأن المتعاقدين الأمنيين يقولون لي: إنـه يمكنك الحكم على المتعاقد الأمني بمجرد النظر إلى نوع النظارة الشمسية التي يستعملهـا. فنظارات ماوي جمز يلبسها في العادة أفـراد قوات سيل، ويتميز أفراد الدلتا بلبسهم الطراز القديم من نظارات أوكلي التي تلتف حول الصدغين، ونظارات وايلي إكس هـي لأفراد القوات الخاصة، أما الطراز الحديث مـن أوكلي فهي للمارينز. أما استعمال أصناف رخيصة مقلدة من هذه النظارات أو حتى استعمال نظارات من طراز ري بان فهو علامـة على قلـة الخبرة وعدم النضج في نظر المتعاقدين الأمنيين ذوي الخبرة. ولو دخل زائر في جيبه 800 إلى 2500 دولار إلى هذه المتجر لخرج منه وكأنه متعاقد أمني.

ونعـود إلى قاعـة الدرس، حيث ظهـر على الطلبة الملـل من طول مكثهـم في القاعة، فخرجنـا في استراحة الغداء إلى القفطير لتناول وجبة متواضعة، ثم توجهنا إلى تمارين ما بعد الظهيرة. وبالإضافة إلى إطلاق النار على الأهداف، سيمارس الطلبة إطلاق النار علـى أنفسهم عن طريق مشبهات البنادق والمسدسات، وهذه المسدسات تستخدم طلقات بلاستيكية تحتوي على صابون لزج ذي لون فاقع. ومع أن هذه الرصاصات غير قاتلة، إلا أن بإمكانهـا أن تسبب آلاماً شديدة وتترك آثـاراً في الجلد إذا أطلقت من مسافة قريبة. ولذلك يحرص الجميع على ارتداء الألبسة الواقية.

جـرت العادة في الدروس التقليديـة لتدريب فرق الحراسة الشخصية أن يقوم الطلبة بدور حراس الشخصية المهمة «العميل» في حين يقوم المدربون بدور الإرهابيين أو عناصر المقاومـة. أمـا في هذه الدورة، فلكون الهدف هو تعليم الطـلاب طريقة تفكير الجماعات الإرهابية، فقد جرى عكس الأدوار: إذ سيقوم المدربون بدور الحرس الشخصي، وسيحاول الطلبة الذين استوعبوا دوافع وأهداف وتكتيكات الإرهابيين وحيلهم، أن يبحثوا عن نقاط الضعف في الترتيبات الأمنية ويشنوا الهجوم. وفي أول تمرين ميداني في هذه الدورة، كان علينـا أن نوقـع موكب الشخصية المهمة في كمين في أثناء مروره في شارع على شكل حرف الـلام، وكان علينا أن ننتظر إلى حين قيام سيارة الشخصية المهمة بالالتفاف عند زاوية

الشـارع فنقطع عليـه الطريق من الأمام ومن الخلـف بحافلات الـ «بـك أب»، وعلينا أن نتوقـع مقاومة من السائق والحرس ومن الشخصيـة المهمة نفسها داخل السيارة. وكانت مهمتنا هي «قتل» هؤلاء جميعاً.

أخـذت مجموعتي جانباً لمناقشة كيف يخطـط الشيشان الحقيقيون لمثل هذه العملية، ثم أعطيت كل واحد منهم اسماً جهادياً، وهذه الأسماء تتغير كيلا يتمكن «الجواسيس» في صفوفنـا من تحديدنا بدقة، وحاولت أن أغرس فيهم العقلية الجريئة في التفكير وتحفيز الثـوار الذيـن يقاتلون جيوشاً جرارة حيث قلت لهم: إن علينـا أن نهجم، ونهجم، ونهجم مستغلين أقوى سلاح بأيدينا (وهو استعدادنا الكامل للموت).

ومـع أننـا أُعطِينـا تعليمات تحدد أيـن نختبئ وكيف ننفـذ العمليـة، إلا أن الإرهابيين الحقيقيـين لا يقيـدون أنفسهم بمثل هـذه التوقعـات؛ إذْ إن أنجح العمليـات الإرهابية أو الهجمات التي تنفذها قوات المقاومة كانت دوماً تحتوي على عنصر المفاجأة. ففي العراق، كانـت المقاومة تغيّر من تكتيكاتها باستمرار بعد أن يبـدو واضحاً أن قوات التحالف بدأت تتوقـع مثل هذا النـوع من الهجمـات وتستعد له. وأضـرب مثالاً على ذلـك، كانت أعمال المقاومـة في بدايتهـا تقوم على شـن المهاجمين الانتحاريـين هجوماً علـى القافلة الأمنية بسيارة مسرعة تقتحم القافلة من الخلف. ولكن أن بدأت فرق الحماية الشخصية بزيادة الرقابـة على مؤخرة القافلة، تحوّلت المقاومة إلى أسلوب جديد يقوم على مهاجمة القافلة مـن الأمام بسيـارة تنتظر اقتراب القافلة فتبطـئ سرعتها قبـل أن تنفجر. وحين عدلت فرق الحماية من أسلوبها لمواجهة هذا الاحتمال، عدّل المهاجمون طريقتهم وطوّروا أسلوباً جديداً بالهجوم على القافلة من المسرب المقابل من الشارع على ميمنة القافلة أو ميسرتها. وهـذا التمرين بحسب وضعه الأصلي يعلم الطلبة كيفية إيقاع سيارة ما في كمين، ولكنه لا يتعمق في تعليمهم أساليب الجماعات الإرهابية ولا طرائق تفكيرهم. غير أنني قدمت لهم خطة غير تقليدية للهجوم جاءت منسجمة مع طريقة تفكير العصابات المسلحة.

مـن أكبر المزايا التي يتفوق بها الإرهابيون أو جماعات المقاومة المسلحة على الجيوش النظاميـة التقليدية هي أن أفـراد الجيش يلتزمون بقواعد سلـوك في الحرب راسخة في عقولهم إلى الحد الذي أصبحت تؤثر فيه على توقعاتهم تأثيراً تلقائياً لا شعورياً. ويستغل

الإرهابيــون وعنـاصـر المقاومة هذا النقص في الخيال لدى الجيش النظامي، ويستخدمون قواعد الاشتباك الصارمة التي يلتزم بها جيش العدو أو الافتراضات الثقافية التي تهيمن علــى تفكيره استخداماً لمصلحتهــم. ويمكن ملاحظة هذا التوجه بــكل وضوح في تجاهل عدد من الجماعات الإرهابية لحرمة الأهداف المدنية. ومن الحيل الشائعة الأخرى الأقل شهــرة في وسائل الإعــلام هي قيام عناصــر المقاومة بالتخفي تحت أقنعــة مختلفة بغية حمــل الضحيــة المستهدفة على إلقاء السلاح أو التخلي عــن وسائل دفاعها. فقد أخبرني المتعاقدون الأمنيون في العراق أن كثيراً منهم يرفضون الانصياع لأوامر الشرطة العراقية أو الجيــش العراقــي بالتوقــف تحت أي ظرف مــن الظروف بسبب تكــرار الحوادث التي استخدمــت فيهــا عناصر المقاومة الــزي الرسمي لقــوات الشرطة أو الجيشــ، أو بسبب توظيفهــا العناصر التابعة لها في صفوف الجيش والشرطــة في شن هجماتها. ويرسخ في ذهــن أكثر الغربيين الذين نشؤوا علــى احترام القانون الفكرة القائلــة بأن على المرء أن يقــف بسيارته على جانب الطريق حــين تطلب منه الشرطة ذلك. وقــد استغلت المقاومة العراقيــة هــذا الاستعداد التلقائي لدى قوات التحالف بفاعليــة كبيرة. وبعد توضيح هذه النقطة، ذكّرت أحد المشاركين، وهو من أفراد الشرطة السرية، بالسيارة المدنية التي جاء بها من واشنطن العاصمة إلى الدورة.

وحين جاء دورنا، اختبأ أعضاء فريقنا على جانبي الطريق، وأخذوا وضعية الاستعداد لإطلاق النار إذا ما حاول أحد المستهدفين الفرار. أما أنا، فقمت بنزع كل معدات الحماية؛ لكــي لا أثــير أي شكوك حولي، وجلست في سيارة الشرطــة السرية منتظراً قدوم السيارة الكبيرة رباعية الدفع التي تقل الشخصية المهمة وحرسه وسائقه. وبعد أن تجاوزوني وهم في طريقهــم إلى نقطة الكمين، تحركت بسيارتي وتبعتهم، وقبل وصولهم إلى نقطة القتل أطلقت مزمار الخطر وأشعلت مصباح الضوء الأحمر الومّاض. وعلى الرغم من أن سائق السيــارة كان يعلــم أننــا في وسط تمريــن، إلا أنه تنحى بسيارتــه إلى اليمين وتوقف توقفاً كاملاً وجلس ينتظرني. وحين نزلت من سيارتي وأشرت إليه بإنزال زجاج نوافذ السيارة، استجابــوا جميعاً دون تردد، فأمسكت مسدسي و «أطلقــت النار» على كل من في السيارة مــن مسافة قريبــة وأصبتهم جميعاً بإصابات هي في حكم الإصابــات «القاتلة». ثم عدت

مسرعــاً إلى سيارتي بعد أن تنبه الحرس «الأمــوات» وراحوا يطلقون النار تجاهي. وحين توقـف الحرسـ «الميتون» معاً لإعادة تعبئــة الرصاص في أسلحتهــم، رجعت بسيارتي إلى الــوراء بسرعة عالية وأطلقت عليهم النار من مسدسي مــرة أخرى حتى «قتلتهم» جميعاً مــرة ثانية. وعلى الرغم من أننــا لم ننفذ هجومنا بالطريقة التقليدية، إلا أننا نجحنا في تحقيق الهدف بقتل ركاب السيارة جميعهم. فَهمَ رفاقي «الشيشان» الدرس الذي أردتهم أن يتعلموه، إلا أنهم كانوا حانقين؛ لأنه لم يتح لأي واحد منهم أن يطلق رصاصة واحدة.

استقر مجرى الدورة على رتابة معينة على مدى الأيام المتبقية، وكنت حين أستيقظ في الصباح أجد الشرطي البريطاني قبل بزوغ ضوء الفجر يقوم بتمارين الضغط مستخدماً يــداً واحــدة بدلاً من اثنتين كما هــي العادة في مثل هذا التمرين. وبعــد أن ينهض الطلبة مــن فراشهــم، كانوا يؤدون تمرين التسلل عبر شبكة الحبــال، ثم يقومون بالهرولة بعض الوقــت، بعــد ذلك يؤدون صلاة الفجر، ثم يتوجهــون إلى المقصف لتناول طعام الإفطار. ومــن هناك يتوجهون إلى قاعــة الدرس. وفي أحد الأيام شاهدنا معــاً فيلماً حول ضحايا الهجمات الانتحارية يحكي الواقع القاسي و المؤلم في التعامل مع الأشخاص الذين يعملون خــارج نطاق قوانين الحــرب. وتعلّم الطلبة كيفية فتح الأقفــال، وآليات عمل القنابل التي تفجــر عن بعــد بوساطة الهواتف الخلويــة وغيرها من العبوات الناسفــة. وروى المدربون المحنكــون بالخبرة دروساً عــن كيفية قيام الجيش الجمهــوري الآيرلندي بتفجير المباني والمنشــآت، وعــن قيام حــزب الله بتفجــير معسكر المارينــز في لبنان، والتعامــل مع تلك الأحــداث من خبرتهم المباشرة التي عاصرت تلك الأحــداث. وكانت محاضرتي عن دور طريقــة التفكير والمحفزات لدى مختلف الجماعــات الإرهابية، وتأثيرها في أساليبهم في تنفيذ عملياتهم. ولقد استغرقت التمرينات الميدانية التي تحاكي الأوضاع المختلفة لتنفيذ الهجمــات المسلحــة أكثر المساء. ومــع مرور الوقت، كنــت أشاهد الطلبة وقــد عدّلوا من طريقة تفكيرهم، وأصبحوا يتبنَّوْن أساليبَ غيرَ تقليدية في عملياتهم.

كانــت تدريبات اليــوم الأخير من الدورة تدور حول التعامل مــع هجوم على «القرية»، ومحاولة قتل «الشخصية المهمة»، وتفجير سيارة مفخخة قرب البناية التي يوجد بداخلها العميل. وحتى هذا الوقــت، تعلم طلابي طريقة التفكير الطليق المبدع، واستخدام قواعد

السلوك لدى العدو وقيوده الثقافية ضده لتحقيق أقصى درجات النجاح؛ لذلك قلت لهم: إنني لن أتدخل هذه المرة تاركاً لهم المجال للإعداد للعملية برمتها وتنفيذها. وقد دهشت حقاً من الخطة التي وضعوها، القائمة على شن عدد من الهجمات المتتابعة، بما فيها تهريب مسدس مع واحد من المراسلين الإعلاميين الزائرين لإطلاق النار على «الشخصية المهمة».

كان الفريق الهدف يتوقع أن يشن الهجوم عبر إحدى الطرق المؤدية إلى القرية؛ لذلك قرر «الشيشان» التسلل من خلف حافة ميدان الرماية الحية لشن هجومهم من الخلف، وهو إجراء أثار حفيظة قائد المدربين، ولكنه أضفى على الهجوم عنصراً مثالياً من المباغتة. وحين حاول حراس الشخصية المهمة دفع عميلهم إلى داخل السيارة رباعية الدفع لإنقاذه وإخراجه من وسط المعمعة، أخرج مصوّر الفريق الإعلامي مسدسه وأطلق النار على العميل فأرداه «قتيلاً». وفي الوقت الذي كان الجميع في حالة من الارتباك والفوضى نتيجة الأساليب غير التقليدية والنتائج الفوضوية التي صدرت عن مَجْمُوعَتِي الشيشانية، قام أحدهم بقيادة إحدى السيارات متوجهاً إلى القرية على الشارع الرئيس وفجر السيارة المفخخة على مقربة من البناية المستهدفة مودياً بحياته وحياة جميع من كانوا حوله، لقد تعلم فريقي الدرس جيداً، وآمل أن يكونوا بعد الآن قادرين على التفكير كما يفكر الإرهابيون؛ لكيلا يلاقوا حتفهم على يد واحد منهم.